

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . الذي أسبغ على الناس نعمه ظاهرة وباطنة .
والصلاة والسلام على رسول الإنسانية محمد الصادق الأمين . الذي بلغ
الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى إلى القرآن الكريم . أما بعد ...

فإن علم العقيدة من العلوم التي وجد المسلمون أنفسهم في أشد الحاجة
إليها . حيث أن العصور التالية لعصر رسول الله ﷺ جده فيها من
الكلام ما يتصل بالعقيدة . فأنبرى العلناء المخلصون يواجهون هذه
المشاكل ، ويدافعون عن العقيدة الصحيحة ، واتسع الأمر ، وزادت
مواجهة المواجهة . وكان لابد لعلم العقيدة أو الكلام من أن ينشأ ،
ويواكب المسيرة . ونشأة علم العقيدة نشأة إسلامية . عايشها السلف
الصالح ، وعاشوا زمناً طويلاً لها .

وعلم العقيدة يبدو ضرورياً ولا بد منه لمواجهة الكثير من قضايا
العقل التي تقحم نفسها فيما ليس هو من شأنها واختصاصها . .

ولا يخفى أن هذا العلم كان له دوره في إثراء الحركة الكلامية ،
كما كان له دوره في مواجهة التحديات . .

وقد ترك علماء العقيدة تراثاً ضخماً لهذا العلم ، يعتبر موسوعة إسلامية
أصيلة .

وبكل تأكيد فإن رواد المعرفة يحتاجون إلى الاقتراب من علم العقيدة
للبحث في قضاياها ومسائلها .

وأهل الدراسة والاختصاص وطلاب الجامعات في أمس الحاجة إلى

علم العقيدة ، حتى تتدرب العقول على المعقول والمنقول ، فتفهم ما لها وما عليها ..

وقد ينطلق العلماء من علم العقيدة ومسائله إلى كون الله المنظور ، يتأملون ، ويدركون ، فيفيدون .

وأن الأمة الإسلامية لابد وأن تقرأ تراث علمائها ، وتستفيد منه بما يمدّها بالنافع المفيد .

وليس من الكياسة أن يرفض علم لأن نفرأ من العلماء قد عارضوه . فإن المعارضين درسوه وبحثوه وتعلموه . وما كان لهم أن يعارضوا لو لم يعرفوه ..

وقد وضعت هذا الكتاب « علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة » لينتفع به كل قارئ وباحث ، وطالب معرفة .
أسأل الله أن ينفع به إله سميع قريب .

المؤلف

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

العقيدة ومفهومها

العقيدة مأخوذة من العقد ، والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء .
ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة ، وعقد الحبل وعقد البناء ، وتوسع في
العقد فاستعمل في المعاني كعقد البيع ، وعقد النكاح (١) كأنه ربط بين
أجزاء ، ويقال : عاقده ، وعقدته ، وتعاقدا ، وعقدت يمينه (٢) .

وكلمة « العقيدة » لم ترد في القرآن الكريم بلفظ « عقيدة » ، ولكن
وردت مادة العقيدة في عدة مواضع من القرآن الكريم .

— في قوله تعالى : « ولعل جعلنا موالى بما ترك الوالدان والأقربون »
والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء
شهيدا ، (٣) .

— وفي قوله تعالى « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الإيمان » ، (٤) .

— وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم
بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم » ، (٥) .

— وفي قوله تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
أجله » ، (٦) .

(١) انظر الفيومي المصباح المنير مادة عقد وراجع الدكتور منصور
وجب نظام الإسلام ص ٤٦

(٢) نفس المصدر . (٣) سورة النساء الآية رقم ٣٣ .

(٤) سورة المائدة الآية رقم ٨٩ .

(٥) سورة المائدة الآية رقم ١ .

(٦) سورة البقرة الآية رقم ٢٣٥ .

— وفي قوله تعالى : « إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النسيان » ، (١) .

— وفي قوله تعالى : « وبإشراح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » ، (٢) .

— وفي قوله تعالى : « ومن شر التفائات فى العقد » ، (٣) .

والمادة « عقد » تدور حول الأحكام والتوثيق ، وإيجاد رابطة بين شئيين ، والاستعمال القرآنى للمادة أضفى عليها مزيداً من الوضوح كأعطى للعقد أبعاداً وأعماقاً (٤) .

وإذا كانت كلمة « العقيدة » لم ترد فى القرآن الكريم ، وإنما وردت مادتها فقط ، فكذلك المعاجم اللغوية .. إلا المصباح المنير فقد ذكر فيه الفيومى : « أن العقيدة ما يدين الإنسان به ، فهى الإيمان بحقيقة معينة ، ليؤمناً لا يقبل الشك أو الجدل » (٥) .

وقد ذكر المعجم الوسيط : « أن العقيدة هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد .. وجمعها : عقائد وتطلق فى الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده » ، (٦) .

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٣٧

(٢) سورة طه الآية رقم ٢٥ ، ٢٦

(٣) سورة الفلق الآية رقم ٤

(٤) الدكتور السيد رزق الطويل العقيدة فى الإسلام منهج حياة

ص ١٢ — ١٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٢ هـ ..

(٥) الفيومى المصباح المنير ج ٢ ص ٥٧٠

(٦) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦١٤ ط القاهرة .

والعقيدة تعنى الارتباط بين القلب البشرى وفكرة أو رأى أو منهج معين ، وأن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة والقوة والأحكام ، كما يتسم بالثبات والاستمرار والاستقرار (١) .

والاعتقاد مصدر اعتقد كذا ، إذا اتخذ له عقيدة ، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ، ودان به (٢) .

ويقال : اعتقد الشيء : إشتد وصاب ، واعتقد كذا بقلبه (٣) .
وأصله من عقد الحبل ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم (٤) .
والعقيدة هى الأمر الذى تصدق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقيناً عند صاحبه لا يمازجه شك ، ولا يخالطه ريب .

فالعقيدة مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالسمع والعقل والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويبنى عليها صدره ، جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجودها ، وثبوتها (٥) .

ويذكر العقاد : أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها حاجة النفس كما يحس بها من

(١) الدكتور السيد رزق الطويل العقيدة فى الإسلام منهج حياة ص ١٥ ، ١٦

(٢) الشيخ محمد خليل هراس شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣

(٣) الفيروز آبادى بهار ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز ج ٤ ص ٨٣ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

(٤) الشيخ هراس شرح العقيدة الواسطية ص ١٣ .

(٥) الدكتورة أمينة محمد نصير مباحث فى علوم العقيدة ص ١٠ ط مكتبة السكيات الأزهرية ١٤٠٤ هـ .

أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ، ليتربص مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعى بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرأس . أو يملأ الصفحات (١) .

إن العقيدة التي يصح أن توصف بالعقيدة الدينية ، هي التي لا يستغنى عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدتها ، ولا يرفضها من اعتمس منها بمتعصم ، واستقر فيها على قرار (٢) .

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر كلمة «عقيدة» وذكر مادتها اللغوية ، فإن القرآن الكريم ذكر حقائق أساسية كبرى ، هي في مجموعها موضوع ما سمي بالعقيدة أو العقائد .

وفي مجال العقيدة أو العقائد جاء القرآن الكريم بكلمة «الإيمان» وللقرآن الكريم طريقته الخاصة في عرض الحقائق وهي طريقة تصلح في آن واحد للخاصة من الناس والعامة منهم (٣) .

ثم إنه إذا كانت كلمة العقيدة تعني الربط والتوثيق ، فإن كلمة الإيمان ، تعني الربط والتوثيق ، وما يطمئن إليه القلب ، ويقنع به اقتناعاً ذاتياً ونفسياً .

وهذه الحقائق الأساسية عرضها القرآن على الناس ، وأيدها بالأدلة والشواهد ، ودعا إلى تصديقها والإيمان بها ، وكرر ذكرها بأساليب

(١) العقائد العقائد والمذاهب مجلد رقم ١١ ص ٤٠٢ ط دار الكتاب اللبناني .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٣ .

(٣) محمد المبارك العقيدة في القرآن الكريم ص ٩ ، ١٠ ط دار الفكر ١٣٩٤ بيروت .

شقي ، وطرق متعددة ، وهي التي تؤلف جو القرآن العام ، والأساس الذي تنفرع منه قواعده الخلقية وأحكامه التشريعية لا تنفصل عنه أبداً ، وهي القاعدة الفكرية النفسية ، التي أراد الله أن يقيم عليها بناء الإنسان وتكوينه (١) .

ولقد دعا القرآن بالحاح إلى الإيمان بهذه الحقائق الكبرى ، دعا إلى الإيمان بالله خالق الكون وبالحياة الآخرة التي تتجلى فيها مسئولية الإنسان ، ويتحدد مصيره الأبدى ، وبالنبوة والوحي طريقاً إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقها إلى الإنسان ، سواء أكان موضوعها عالم الغيب ، أو حقائق ما وراء المادة ، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شئونه في هذه الحياة (٢) .

وبما لا يخفى على الإنسان أن هناك نوعاً آخر من الحقائق اشتمل عليها القرآن الكريم وردت فيه على أنها طريق إلى الحقائق الأساسية — من الإيمان بالله وبالحياة الآخرة ، وبالنبوة والوحي — ووسيلة للوصول إليها ، ولكنها تتكرر في سور القرآن في صور وأشكال شتى ، مرافقة للحقائق الأساسية ، لتأييدها ودعمها ، ويشتمل هذا النوع على مشاهد الكون في القرآن بأفاقه الواسعة ، وأنواع مخلوقاته المختلفة ، وحوادثه المتبدلة وسننه المطردة ، ويشتمل بوجه خاص على حياة الإنسان في خلقه وتكوينه وميوله وغرائزه في أجياله المتعاقبة .

ومن عرف الحقائق الأساسية الكبرى ، والحقائق الأخرى التي جاءت شواهد على الحقائق الأساسية استطاع أن يخرج بفكرة شاملة عن :

(١) محمد المبارك العقيدة في القرآن ص ٩ بتصرف واختصار .

(٢) المصدر السابق ص ١٠ بتصرف .

— نظرة الإسلام إلى الوجود : وجود الخالق ، ووجود العالم المخلوق : الكون والإنسان .

— ونظرة الإسلام إلى الصلة بين الله والكون ، وبين الله والإنسان . وبين الكون والإنسان .

ويتكون من مجموع ذلك عقيدة كاملة ، ونظرة شاملة ، وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان ، ولا إثثير في العادة مصاعب عقلية خاصة (١) .

فالتصور الإسلامى يقوم على أساس : أن هناك ألوهية وعبودية ألوهية ينفرد بها الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه . وكما ينفرد الله سبحانه بالألوهية كذلك ينفرد — تبعاً لهذا — بكل خصائص الألوهية : وكما يشترك كل حى ، وكل شىء بعد ذلك فى العبودية . كذلك يتجرد كل حى ، وكل شىء من خصائص الألوهية . فهناك إذن وجودان متميزان :

— وجود الله .

— ووجود ما عداه من عبيد الله .

والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالمخلوق ، والإله بالعبيد (٢) .

ولإذا كان الأمر — كما عرفنا — فما مكان الإنسان من الكون كله ؟

(١) توماس ارنولد — تاريخ الدعوة ص ٥٤

(٢) سيده قطب — خصائص التصور الإسلامى ص ١٨٣ ط . دار الشروق ١٤٠٠ هـ .

ما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلافتها الأحياء ؟

ما مكانه بين أبناء نوعه البشرى ؟

وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ، أو هذا النوع الذى يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان : « الإنسان » ؟

وهى أسئلة لا جواب لها فى غير « عقيدة دينية » تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه ، و صفوة إيمانه بغيرها المجهول ... تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة : حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان (١) .

وأنت تجد أن القرآن الكريم يخص من هذا الكون مخلوقا هو الإنسان ، فيتحدث عنه مرات كثيرة ، بل يخصه بالمخاطبة ، لأنه هو المقصود ، ولكنه فى الوقت نفسه يشعره بموقعه من هذا الكون .

فالإنسان أولا : نوع من أنواع أخرى فى هذا الكون ، يشترك معها فى أمور ، ثم يتميز عنها ، فهو مخلوق من تراب فى الأصل . قال تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » (٢) .

وقال تعالى : « أكفرت بالذى خلقك من تراب » (٣) .

وقوله تعالى : « فإننا خلقناكم من تراب » (٤) .

(١) العقائد الإسلامية - المجلد السابع - ص ٣٩١ ط دار الكتاب اللبنانى .

(٢) سورة آل عمران ، الآية رقم ٥٩ .

(٣) سورة الكهف . الآية رقم ٣٧ .

(٤) سورة الحج . الآية رقم ٥ .

وقوله تعالى : « خلقتكم من تراب » (١) :

ويقول بهذه المناسبة « ألكسيس كاريل » . في كتابه : « الإنسان ذلك المجهول » . بعد أن بين المقابلة التامة بين المواد الكيماوية التي تتركب منها الجسم البشري ، والتي يتكون منها التراب بمختلف أنواعه .

يقول : « إن الإنسان مخلوق من تراب بالمعنى الحقيقي الحرفي لهذه الكلمة » (٢) ، وقد جاء في آية قوله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتاً » (٣) .

والإنسان ثانياً : نوع من أنواع الحيوانات يدخل في تصنيفها ، ويشترك معها في أمور . قال تعالى . « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع » (٤) .

وقال تعالى : « ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهيين » (٥) .
وقال تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » (٦) .

والإنسان ثالثاً : نوع متميز عن الحيوان ، كما يبدو من قوله تعالى :

-
- (١) سورة الروم . الآية رقم ٢٠ ، وسورة فاطر الآية رقم ١١ ، وسورة غافر الآية رقم ٦٧ .
 - (٢) ألكسيس كاريل - الإنسان ذلك المجهول ص ٢٠٠ مكتبة المعارف .
 - (٣) سورة نوح ، الآية رقم ١٧ .
 - (٤) سورة النور . الآية رقم ٤٥ .
 - (٥) سورة السجدة ، الآية رقم ٨ .
 - (٦) سورة الأنعام . الآية رقم ٣٨ .

« ثم أنشأناه خلقاً آخر » (١) وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي ، كما تشير الآيات أكثر من مرة إلى تسويته « ثم سواه » (٢) ، « فإذا نسويته » (٣) ، « فسواك فعذلك » (٤) ، وإلى جعله في أحسن تقويم » (٥) . وتميزه كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس . كما تشير إلى ذلك الآية : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٦) ، وكما تشير الآية الأخرى « علم الإنسان ما لم يعلم » (٧) وهو علم يستطيع أن يعبر عنه « خلق الإنسان » عليه البيان » (٨) بل هو علم قابل دائماً للنمو والزيادة « وقل رب زدني علماً » (٩) ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » (١٠) .

والإنسان رابعاً : يتميز بجانب روحي ، أشارت إليه آيات كثيرة : كقوله تعالى : « فإذا نسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (١١) وقوله تعالى : « ثم سواه ونفخ فيه من روحي » (١٢) ، وهو الجانب الذي

(١) سورة المؤمنون . الآية رقم ١٤

(٢) سورة السجدة . الآية رقم ٩

(٣) سورة الحجر . الآية رقم ٢٩

(٤) سورة الانفاطار . الآية رقم ٧

(٥) سورة التين . الآية رقم ٤

(٦) سورة النحل . الآية رقم ٧٨

(٧) سورة العلق . الآية رقم ٥

(٨) سورة الرحمن . الآيات رقم ٣ ، ٤

(٩) سورة طه . الآية رقم ١١٤

(١٠) سورة فصلت . الآية رقم ٥٣

(١١) سورة الحجر . الآية رقم ٢٩

(١٢) سورة السجدة . الآية رقم ٩

وفع مرتبة الإنسان وجعله في مقام من التكريم ، أسجد الله له الملائكة ،
« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (١) ، وعلى تنمية هذا المعنى من
الإنسان بنى الحافظ والمحدث الحكيم الترمذى (٢) ، والإمام ابن القيم ،
وغيرهما من علماء السلوك الإسلامى نظرتهم فى ترقية الإنسان فى مدارج
الرقى الروحى نحو الله (٣) .

وفى القرآن بعد هذا آيات كثيرة ، فى ذكر نفسية الإنسان وما يميل
إليه من زينة الدنيا وشهواتها ، وما يضطرب فيها . من مختلف المشاعر
والعواطف ، وما فيه من الصراع الدائم الذى ابتدأ منذ قصة آدم ، ولا
ينتهى إلا باقتهاء قصة الإنسان كلها على هذه الأرض ، وفيه آيات أخرى
لتوجيه الإنسان فى هذه الميول والمشاعر ، وفى ذلك الصراع المحتم (٤) .

ويقول الإمام ابن القيم : اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع
الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه ، وخلق له لنفسه ، وخلق
له كل شيء ، وخصه من معرفته ومحبه وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره ،
وسخر له ما فى سمواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته — الذين هم أهل
قربه — استخدمهم له ، وجعلهم حفظاً له فى منامه ، ويقظته ، وطمعته
وإقامته ، وأنزل إليه وعليه ، كتبه ، وأرسله ، وأنزل إليه ، وحاطبه
وكبه منه وإليه . فلإنسان شأن ليس لساير المخلوقات (٥) .

(١) سورة الإسراء . الآية رقم ٧٠ .

(٢) الحكيم الترمذى من علماء السنة والسنه ٢٠٥ هـ وتوفى سنة ٣٢٠ هـ .
وله مصنفات كثيرة .

(٣) انظر محمد المبارك — العقيدة فى القرآن الكريم ص ١٩ بتصرف .

(٤) محمد المبارك — العقيدة فى القرآن الكريم ص ١٩ .

(٥) ابن القيم . مدارج السالكين ص ١٠٠ طبع السنة المحمدية .

حاجة الإنسان إلى العقيدة

الاعتقاد شيء مركوز في النفس ، مستقر في قلب الإنسان ، لا يستطيع الإنسان أن ينسكه . فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق . وإن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله ، فلن يستطيع أن يغير فطرته .

قال تعالى : « فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (١) وقال تعالى : « ونفس وما سواها * فألهمها فجورها * وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها » (٢) .

فعاطفة الاعتقاد أمر غريزي ومشارك بين الناس عامة في كل عصر ومكان . فإنه لم تخل جماعة من الناس في أي زمان من عقيدة دينية على نحو ما . وإذا كان الدين والاعتقاد أمراً غريزياً وفطرياً في الإنسان في كل زمان . فإن الإسلام هو الدين الحق الذي رضى الله تعالى للناس جميعاً (٣) .

فالإنسان لاغنى له عن الدين لأنه يحسه في نفسه شعوراً ووجداناً ، ويشير إلى هذا الشعور والوجدان ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، أن

(١) سورة الروم . الآية رقم ٣٠

(٢) سورة الشمس الآيات من رقم ٧ : ١٠

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى الإسلام والحياة ص ٧ ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

رسول الله ﷺ قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة » (١) . وقول الله عز وجل : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » (٢) .

ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنه ذريتهم نسلا بعد نسل ، على هيئة ذر . وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم قائلًا لهم : « ألست بربكم » ؟ فأجابوا « بلى شهدنا » بذلك قاله سبحانه وتعالى أشهدهم على ربوبيته حتى لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين (٣) . فطبيعة الإنسان فيها استعداد فطرى لمعرفة الله ، وهذه الفطرة مستأصلة في الإنسان ، وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه (٤) .

ومن هنا كان الاعتقاد أمر لا بد منه ، وأن الدين الحق رحمة للناس جميعاً . على اختلاف عقولهم وقدرتهم على التفكير ، وأنه هدى ونور ، وأن العلم لا يغنى عنه شيئاً (٥) .

فلاعتقاد أو الدين عنصر ضرورى . والإنسانية بحاجة إليه للسكال

(١) رواه البخارى . كتاب الجنائز . باب إذا أسلم الصبي ج ٣ ص ٢١٩ ورواه الإمام أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٢٥٣

(٢) سورة الأعراف . الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣

(٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٦٤

(٤) الدكتور سامى كفيفى حجازى العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الإسلام ص ٥٣

(٥) الدكتور محمد يوسف موسى الإسلام والحياة ص ١٠

النفسي والروحي . فالإنسان جسم وروح . والجسم يتغذى بالطعام والشراب ، بينما تتغذى الروح بالإيمان والعقيدة . وعلى ذلك فالإسلام منهج شامل لأمر الدنيا والآخرة ، يحقق لمصالح الفرد والجماعة ، قوامه الشريعة والعقيدة والأخلاق . فليس ديناً فقط ولكنه دين ونظام حياة ، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان عن الصلة بين الإنسان والإنسان ، وهو ينظمهما جميعاً (١) .

فالدين الإسلامي عقيدة شاملة ، لتنظيم الحياة وتفسيرها ، واستجابة لحاجات النفس الإنسانية ، ومشعل يضيء الطريق أمام الناس ، ويبلغ بهم غايات السعادة والاستقرار ، ووسيلة لتقدم العلاقات، العبادة والخاصة (٢) .

هذه العقيدة التي جاء بها الإسلام ، هي أعطف شيء على الإنسان في مصائبه ، وأحنى أس عليه في نوازله ، يعتصم بها في مخاوفه ، ويلتجئ إليها في أموره ، ويستسهل بها صعوبات الحياة ، ويموت بها مبرئاً جاك ، قرير العين ، لتيقنه أن يداً تنتظره إلى عالم أرقى ، وقدرة تحب به ، تحفظه من عاديات الفناء ، وجائحات العدم (٣) .

تأمل في أمر هذه العقيدة التي تمس أخص حياة الإنسان ، وتلعب بإيمان في شعوبها وفنونها البسارية في سائر عواطف النفس .

تأمل وتذكر . . ترى قوى النظر والشم واللس والدوق والحس

(١) أنور الجندي . منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ص ٣٩

(٢) عيد الله جمعة أحمد العوبشق . الأذب في خدمة الحياة والعقيدة ص ١٧ ط الرياض السعودية .

(٣) أحمد السايح . عباس العقاد فيلسوفاً ص ١٦٤ رسالة ماجستير .

مستخدمة ومسخرة لهذه العقيدة . وما مناظر هذا الجمال الشكوي .
إلا مشيرات لهذه العقيدة ، موقظات لزيادة الشعور بها .

والعقيدة الإسلامية كاملة لأنها من عند الله ، وما كان من عند الله
كان أتم وأكمل .

ومن أبرز الخصائص التي تختص بها العقيدة الإسلامية :

- أنها تربط الإنسان بالله ، وبقوى الكون الظاهرة والخفية .
- إنها تبث الثقة والطمأنينة في الإنسان ، وتمنحه القوة لمواجهة
القوى الإلحادية والأوضاع الباطلة .
- إنها توضح للإنسان غايته واتجاهه وطريقه .
- إنها تجمع للإنسان طاقاته وقواه ، وتدفعها في اتجاه الغاية .
- إنها تقدم للإنسان الحل لمشكلاته جميعها على امتداد الأزمنة
والأمكنة .

- إنها تقدم الحلول ومعها المؤيد لتنفيذها والإبقاء عليها .
- إنها تتسع لكل أنواع النشاط الإنساني ، وتربط بين المنطق
والواقع ، والمادة والروح .

- إنها عقيدة استعلاء من أخص خصائصها ؛ أنها تبعث في روح
المؤمن بها الإحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة من غير اغترار ،
وشعور الاطمئنان من غير تواكل .

حقيقة أساسية من حقائق الوجود . وهي في ذاتها كفيلة بتعديل
القيم والموازن ، وتعديل الحكم والتقدير ، وتعديل المنهج والسلوك ،
وتعديل الوسائل والأسباب . . . ويمكن أن تستقر هذه العقيدة في قلب
الإنسان المؤمن ، لتقف به أمام الدنيا كلها بمن فيها ، وما فيها ، عزيزاً
كرماً .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة . إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المنكرين (١) .

والحقيقة التي أثبتتها السنين الحافلة بالأحداث والخطوب والمحن . أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة ، والعقيدة المثلث للإنسان والمجتمع ، رعاية للروح والجسد . وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد في السلم والحرب ، ودستور للحاكم والمحكوم ، وتنظيم للعلاقات والصلوات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم ، على خير ما يمكن أن يكون التنظيم .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة . ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه . وضرورة للمجتمع ليستقر ، ويقامك ، ويرتفع ، وينهض .

فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار ، وليس له جذور تثبته .

والمجتمع بغير عقيدة ، مجتمع غابة (٢) . وإن ظهرت له بوارق الحضارة فهو مجتمع تعاسة وشقاء ، ليس له غايات وأهداف . وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام .

وقد كانت العقيدة الإسلامية إيثاقاً بمولد مجتمع يخالف المجتمعات التي جعلت أساس مجتمعاتها الجنس أو القبيلة أو السلالة أو الإقليم أو اللغة بخلاف الإسلام الذي جعل أساس مجتمعه العقيدة .

(١) أحمد السايح . العقاد فيلسوفاً ص ١٦٦

(٢) محمد أمين حسن . خصائص الدعوة الإسلامية ص ٢٥٧ ط مكتبة المفااز الأردن .

فأرومان والفرس واليونان والعرب — قبل الإسلام — بنوا مجتمعاتهم على الأسس السابقة . وما أن أهل الإسلام حتى عمل على هدم هذه الأسس وأحل محلها العقيدة ، وبين أن أصل البشر واحد ، ولا يمكن حجب هذه الحقيقة بالجنس أو النسب (١) .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (٢) . وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » (٣) .

وقد بين الرسول ﷺ هذه الحقيقة بقوله : « الناس كلهم بنو آدم ، وأدم خلق من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى » (٤) .

فالعقيدة قوة لا تكافئها قوة في ضمان تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه ، والشأن أسباب الراحة والطعامينة فيه فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعة ولا بصره ، ولا يوضع في يده ، ولا عنقه ولا يجري في دمه ، ولا يسرى في عضلاته وأعصابه . وإنما هو معنى اسمه : العقيدة . ومن هنا كان الإنسان مقوداً أبداً بذاكرة صحيحة أو فاسدة . فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء ، وإن فسدت فسدت كل شيء (٥) .

(١) المصدر السابق ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١٣ .

(٣) سورة النساء . الآية رقم ١ .

(٤) النسيوطي الدر المنثور في التفسير بالأمثال ج ١ ص ٩٨ .

(٥) الدكتور محمد عبد الله دراز الدين ص ٩٩ ط دار القلم ١٤٠٠ هـ .

أجل... إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ، ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامه مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق ، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل .

فإن الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية ، لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون .

ومن الخطأ البين أن نظن أن فى نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهديب الدينى والحقى . ذلك أن العلم سلاح ذو حدين : يصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير . ولا بد فى حسن استخدامه من رقيب يوجهه لخير الإنسانية ، وعمارة الأرض ، لا إلى نشر الشر والفساد . ذنكم الرقيب هو العقيدة والإيمان (١) .

والعقيدة الإسلامية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية فى مختلف ملكاتها ومظاهرها . ومن هنا تنبع حاجة البشر إلى الدين من طبيعة الإنسان نفسه . فقد خلقه الله تعالى ، ومنحه طبيعته الكائن المتكيف . وعلى ذلك فحاجة الإنسانية إلى الدين نزعة فطرية وأصلية ركبت فيه وفطر عليها (٢) .

والعقيدة هى أساس قيام المجتمع ، وأساس صلاحه أو فساد بل هى أساس بقائه واستمراره ، لذا كانت حاجة الإنسانية إلى الإسلام عقيدة وسلوكا . وذلك لأنه يصرف النفوس عن شهواتها ، ويعطف القلوب عن إرادتها (٣) .

(١) المصدر السابق ص ٩٩

(٢) الدكتور سامى عفيفى حجازى العلاقة بين العقيدة والأخلاق ص ٨٨

(٣) المصدر السابق ص ٦١ بتصرف

هذه العقيدة هي التي تحل لغز الوجود ، وتفسر للإنسان سر الحياة والموت ، وتجيّب عن أسئلته : من أين ؟ ولماذا ؟ ولم ؟

هذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام ، ولا بما ابتكره محمد عليه الصلاة والسلام . إنها العقيدة المصفاة التي بعث بها أنبياء الله جميعاً ، ونزلت بها كتب السماء قاطبة ، قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، إنها الحقائق الخالدة التي لا تتطور ولا تتغير ، عن الله وعن صلته بهذا العالم . ما يبصره منه وما لا يبصره ، وعن حقيقة هذه الحياة ودور الإنسان فيها وعاقبته يبعدها .

إنها الحقائق علمها آدم لبنيه ، وأعلنها نوح في قومه ، ودعا إليها هود نوصالح عاداً وثموداً ، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله ، وأكدها موسى في توراته ، وداود في زبورهِ ، وعيسى في إنجيلهِ (١) .

كل ما فعله الإسلام أنه نقي هذه العقيدة من الشوائب الدخيلة ، وصفها من الأجسام الغريبة ، التي أدخلتها العصور عليها . فكدرت صفاءها ، وأفسدت توحيدها بالتثليث والشفاعات . واتخاذ الأرباب من دون الله ، وأفسدت تنزيهاً بالتشبيه والتجسيم ، ونسبة ما في البشر من قصور ونقص إلى الله — تعالى علواً كبيراً — وشوهت نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان ، وعلاقته بالله ووحيه وما جاء به من تعاليم . كما عرض الإسلام هذه العقيدة عرضاً جديداً ، يليق بالرسالة التي اقتضت حكمة الله أن تكون خاتمة الرسالات الإلهية ، وأن تكون غاية لكل البشر (٢) .

(١) الدكتور يوسف القرضاوى الإيمان والحياة ص ٢٤ ، ٢٥ طبعة مؤسسة الرسالة

(٢) الدكتور يوسف القرضاوى الإيمان والحياة ص ٢٥

جاءت عقيدة الاسلام فنقت فكرة التوحيد ، وكال الالهية ،
عما شابها على مر الأعصار ، ونقت فكرة النبوة والرسالة عما عراها
من سوء التصور ، ونقت فكرة الجزاء الآخروي عما دخل عليها
من أوهام الجاهلين وتحريف المغالين وانتحال المبطلين . ودجل
المشعوذين (١) .

عقائد الناس قبل الإسلام

عقائد الناس قبل الاسلام كانت تنبىء عن فوضى اجتماعية وفكرية، وتدل على انحراف العقل البشرى ، وسقوطه فى حماة الجهل ، والتردى فى الهاوية .

— كان هناك كثير من أرباب الملل ، والنحل ، والمذاهب والتيارات .

— كان هناك من اعتقد التثليث ، والحلول ، والواسطة بين الخالق والمخلوق .

— كان هناك من عبدوا الأجرام العلوية ونصبوا لها الهياكل .

— وكان هناك عبدة النار والدهريون والطبيعيون والوثنيون .

— وكان هناك اليهود والنصارى والصابئة والأحناف والعرب كان فيهم من كل ملة ودين ، وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش ، والمزدكية والمجوسية فى تميم ، واليهودية والنصرانية فى غسان ، والشرك وعبادة الأوثان فى سائرهم (١) . ويجمع القرآن الكريم أصناف العرب من حيث الاعتقاد فى قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) »

(١) أنظر الدكتور سيد عبد التواب محاضرات فى علم التوحيد ص ٦٣ ط الجبلاوى .

(٢) سورة البقرة ، الآية رقم ٦٢

ويشير القرآن إلى اليهود والنصارى في قوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (١) وقوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » (٢) .

أما الصابئة فكانوا يصدقون بالإله لكنهم يجعلون بينهم وبين الإله واسطة روحانية ، ويعتقدون أن الكواكب هي هياكل لهذه الوسائط الروحانية ، ومن ثم توجهوا إليها بالعبادة فهم عبدة الكواكب .

وأما المجوس فقد قالوا بأصلين للعالم ... إحداهما للخير ويسمى : النور وثانيهما للشر ، ويسمى : الظلمة .

أما المشركون فقد اختلفت أصنافهم وطوائفهم :

— فمنهم من آمن بالله لكنه أنكر البعث . وقد تحدث عنهم القرآن في قوله : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٣) .

— ومنهم من آمن بالله ويحدث العالم وينوع من الإعادة لكنهم أنكروا الرسل ، وعبدوا الأصنام ، بدعوى أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة ، وإلى هذا يشير القرآن في قوله : « ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون » (٤) .

(١) سورة التوبة . الآية رقم ٣٠

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ١١٣

(٣) سورة يس . الايتان ٧٨ ، ٧٩

(٤) سورة الزمر الآية ٣

— ومن المشركين من أنكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحي والدهر المفتى . وقد تحدث عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » (١) وفي قوله تعالى « وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (٢) .

فأنت ترى أن الطوائف والملل والنحل والمذاهب والأديان متعددة (٣) ولها عقائدها المختلفة والتي تؤدي إلى اضطراب في الفكر وخلل في المجتمع ، وانشقاق ، وقلق . وفي وسط هذا كله بعث الله عبده ورسوله محمد ابن عبد الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . فأقام الحججة ، وأيقظ العقل ، وأذاع في الناس سلطان العقل الذي حقروه ، وحاكمهم إليه ، ودعاهم إلى نبذ التقليد ، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وسلك مسلكاً لا يرتفع عن مستوى إدراكهم ارتفاعاً يبعد بينهم وبينه (٤) .

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٩

(٣) الدكتور سيد عبد التواب محاضرات في علم التوحيد ص ١٣، ١٤

(٤) الدكتور أمينة نصير مباحث في علوم العقيدة ص ١٥ ط مكتبة

الكليات الأزهرية ١٤٠٤ هـ

حال العقيدة في عصر رسول الله ﷺ

لقد جاء محمد ﷺ بالعقيدة الصحيحة التي تأخذ بالناس إلى الصراط المستقيم . وأعلن رسول الله في طوائف البشر :

- ١ — أنه رسول الله بعثه للناس كافة بشيراً ونذيراً .
- ٢ — لإبطال عبادة الأصنام وما يعبد من دون الله والاتجاه إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .
- ولقد أشار إلى هذين المبدأين معاً القرآن الكريم ، في قوله تعالى :
« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للشركين » (١) .
- ٣ — وأعلن أيضاً القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة (٢) .
- وكان لابد أن يواجه القرآن الكريم حين بدأ نزوله كثيراً من أرباب الملل والنحل التي أصبحت غير مقبولة كي تملأ القلوب والعقول بالعقيدة الصحيحة .

- واجه اليهود الذين انخرفوا عن عقيدتهم الصحيحة التي أبرزها لهم أنبياءهم عليهم السلام .
- كما واجه النصارى الذين ضلوا الطريق الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام .

- وكانت المواجهة أشد وأعنف مع الوثنيين من ليسوا من أهل الكتاب . وكانت مكة مسرحاً لهذه المواجهة (٣) .

(١) فصلت الآية رقم ٦

- (٢) الدكتور أمينة نصير مباحث في علوم العقيدة ص ١٦ بتصرف .
- (٣) الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها ص ٦٥ ط دار الطباعة المحمدية ١٤٠٩ هـ

فواجهة القرآن الكريم لمخالفيه من أرباب الأديان والملل كان لابد منها لرد الشبهات التي كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد على أن القرآن كان لا يمد في حبل الجدل رغم ضرورة المواجهة وذلك حرصاً على الفائدة والسلامة وتنسيب العقل ليستيقظ . وكثيراً ما تختم آيات الجدل بمثل قوله تعالى :

« إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون » (١) .
— « وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » (٢) .

— « ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (٣) .
وبعد هذا الذي ذكرناه يمكن أن نصل إلى الحقائق التالية :
أولاً : أن البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم كانت ذات عقائد ، وأن الملل والنحل المختلفة قد وقفت من العقيدة الجديدة موقف الرفض المجادل . كل بحسب قدرته وتصوره .

ثانياً : أن القرآن الكريم جادلهم بما كان ينزل على رسول الله عند المواجهة .

ثالثاً : أن إقرار مبدأ المجادلة لأهل الكتاب والمشركين يعتبر أساساً شرعياً لعلم العقيدة في إطار المهمة التي نيطت به ، وبشرط ألا يتجاوز « التي هي أحسن » كما قرر القرآن الكريم .

رابعاً : أن أصول العقيدة الصحيحة لا تتمكن من القلب إلا بالنظر الدقيق لمن هو أهل له .

(١) سورة الزمر آية ٣ . . . (٢) سورة الحج الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) سورة الأعراف من الآية ١٦٤ .

خامساً : أن القرآن الكريم قد جاء بمنهج مزدوج . أحد وجهيه :
لهدم العقائد الفاسدة بإصابة بواضع الخلل فيها .

وثانيها : لبناء العقيدة الصحيحة . وهذا الوجه قد خاطب الإنسان
بكل مستويات إدراكه : الحسية والعقلية والبصيرية .

سادساً : أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد جعل حداً فاصلاً
بين جدال المعاندين ، وبين طائفة المؤمنين الذين صدقوا بما جاء به . حتى
لا يشوش ذلك على عقيدتهم (١) .

وأن الباحث في هذا الموضوع يجد أن القرآن الكريم قد استوفى
مسائل العقيدة ، وأحاط بمشاكلها ، فعرضها واحتج لها ، ودافع عنها . كما
استوفى كل الشبه ما كان منها في عهده ، وما كان منها في العهود السابقة على
نزوله فعرض لهذه الشبه ، وفندها وأقام الحجج على زيفها (٢) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يستعينون لنصوص القرآن الكريم
دون اللجوء إلى الأبحاث العقلية حول هذه النصوص .

يقول صاحب مفتاح السعادة : « إن الصحابة أدركوا زمان الوحي ،
وشرف صحبة صاحبه ، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك
والأوهام » (٣) ولهذا مضى عهده ﷺ والمسلمون على عقيدة واحدة هي
ما جاء في كتاب الله (٤) « والصحابة كانوا يعرفون الله بمعجز النبي ﷺ »

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية أصولها
وتأويلاتها ص ٦٩

(٢) الدكتور سيد عبد التواب محاضرات في علم التوحيد ص ١٦

(٣) انظر الدكتور سيد عبد التواب محاضرات في علم التوحيد ص ١٧

(٤) المصدر السابق ص ١٧

أو قرأتين صدقه ، وإنما كانوا يفرعون جميع عقائدهم على تصديق النبي ﷺ بالمعجز فيهم أو أكثرهم استفادوا معرفة الله من الأنبياء .
فإن قيل : فلماذا حث الله على التفكير في خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات . وهلا اقتصر الحث على النظر في معجزات الأنبياء وأحوالهم ؟ قلنا لسنا ننكر أن ذلك طريق واضح ، لكننا نقول : إن هذا أيضاً طريق واضح آخر . والطرق إلى معرفة الله كثيرة (١) .

ويذكر العلماء : أنه لم تخل فترة من الزمان منذ بدأ الإسلام من مشغل على نحو أو آخر بغلم العقيدة . أو بعبارة أخرى عن الحديث في الأمور الغيبية حتى أننا نلجس بذور الاشتغال بالكلام في صدر الإسلام . رغم كراهية الجدل في هذه المسائل (٢)

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : قال رسول الله ﷺ «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٣) .

وروى من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون في القدر فخرج مغضباً حتى وقف عليهم . فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضهم ببعض . وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولسكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً ، ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابهه فأمّنوا به (٤) .

(١) ابن الوزير ، البرهان القاطع ص ٤٠

(٢) الدكتور أمنة نصير مباحث في علوم العقيدة ص ١٧

(٣) متفق عليه .

(٤) السيوطي صون المنطق ج ١ ص ٣٠

وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى أحمر وجهه ثم قال : أبهذا أمرتم ، أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا ، (١) .

وإذا كان الجدل والمراء في الدين غير مرغوب فيهما ، فإن الأمور التي يمكن الإجابة عليها لا تدخل تحت هذا النوع المنهى عنه لاسيما إذا كانت تثار على السنة المسترشدين وطالبي الحق .

ومن ذلك ما أجاب به رسول الله ﷺ أهل اليمن حين سألوه : أين كان الله عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال : كان في عماء ، تحته هواء وفوقه هواء .

وفي رواية : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء » وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، (٢) .

ويمكن أن يقال : إن طلب الحق من بعض المؤمنين كان يلي عندما يكون الأمر سائحا بذلك ، وإلا فلا إجابة ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى نزوع العقل دائماً إلى معرفة المساتير والمغيبات (٣) بحكم طبيعة الإنسان التي تتطلع إلى المعرفة .

وسؤال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن

(١) أبي حامد الغزالي ، المتقذ من الضلال ص ١٣ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود

(٢) السيوطي ص ٣٥ المنطق

(٣) الدكتور محمد عبد الستار نزار ، العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها ص ٧٠

(٤) - علم العقيدة -

أمور العقيدة في بعض جوانبها ينبغي ألا تقف عند حد التقليد والتلق الذي لا يعقل ، وهذا يدل على أن النهى عن الجدل لم يكن مطلقاً بل كان مقدراً بقدره (١) .

فأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يخوضون مع رسول الله ﷺ في دقائق المسائل ويتفهمون عنه حقائق الإيمان ، وكانوا يوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات ، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم وقد أورد عليه من الأسئلة أعداؤه وأصحابه ، أعداؤه للتعنت والمغالبة وأصحابه للفهم والبيان ، وزيادة الإيمان ، وهو يجيب كلا عن سؤاله إلا ما لا جواب عنه كالسؤال عن وقت الساعة (٢) .

ويمكن أن يستخلص الباحث من ذلك : أن التفكير في مسائل العقيدة لم يكن وليد العصور التالية لعصر الرسول ﷺ ، بل ظهرت في عصر الرسول بؤادر التفكير العقدي ، وبذور النظر العقلي (٣) .

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية ص ٧١

(٢) ابن القيم زاد المعاد في سيرة خير العباد ص ٣٠٧

(٣) انظر الدكتور محمد عبد الستار نصار ، العقيدة الإسلامية ص ٧١

وانظر الدكتور أمية نصير ، مباحث في علوم العقيدة ص ١٨

خال العقيدة في عصر الخلفاء الراشدين

أما عصر الخلفاء فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على ما سار عليه الرسول من الاهتمام بما أمر الله سبحانه وتعالى به ، وترك ما نهى عنه .

لقد كان اهتمام الصحابة موجهاً إلى الأحكام العملية ، ولم يتعرضوا لشيء من الأمور الاعتقادية ، وإذا جدد جديد من الحوادث استشاروا كتاب الله ، وحديث رسوله فإن وجدوا فيهما ما يحقق غايتهم فخيراً يجدوا وإلا رجعوا إلى قياس ما حدث على ما وقع في عهد الرسول ، وإذا لم يجدوا ما يقيسون عايبه فإنهم أحياناً يرجعون للرأى الشخصى وتارة للشورى ، حتى تطمئن قلوبهم إلى رأى فيعملون به ويحضون عليه (١) .

ويؤكد المقرئى حقيقة هامة ، وهى أن ما أثير من جدل سبق الإشارة إليه وقع فى مسألة القدر ، أما مسألة توحيد الذات والصفات فلم يرد أنها كانت موضع حوار للصحابة .

يقول المقرئى : « ومن أمعن النظر فى كتب الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية ، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، على اختلاف طبقاتهم ، وكثرة عددهم أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه النكرية فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ،

(١) الدكتور أمانة نصير ، بحوث فى علوم العقيدة ص ١٨ بتصرف

والكلام، والجلال، والاكرام، والجود، والانعام، والعز، والعظمة.
وساقوا الكلام سوقاً واحداً.

وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه السكينة
من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي بمسألة المخلوقين، فأثبتوا رضى الله
عنهم بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم
ما يستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى
كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل
الفلسفة، ففى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا (١).

يرجعون إلى كتاب الله، وإلى سنة الرسول ﷺ، فيما يشكل عليهم
من أمور تتعلق بالدنيا والآخرة (٢).

ويقول أبو الحسن الأشعري: كان الصحابة — رضوان الله
عليهم — عند وفاة النبي ﷺ وبعدها على عقيدة واحدة، وطريق
واحد، ولم يكن أحدهم ليختلف مع الآخر إلا فى فهم أوتيه فى كتاب
الله وسنة رسوله، يعرضه على أخيه، فإن لم يكن عنده ما يدفعه
من سنة أو فهم فى كتاب أو سنة وجع إلى قول أخيه وتقبله أحسن
القبول (٣).

(١) المقرئى، الخطط ج ٤ ص ١٨٠ ط القاهرة.

(٢) الدكتور مبارك حسن حسين، دراسة فى القضايا الدخيلة على
الفرق الإسلامية، ص ١٠ ط مطبعة التقدم ١٤٠٨ هـ.

(٣) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٤ ط
القاهرة.

« ونستطيع أن نقسم لك الاختلاف الحاصل في المسائل الاجتهادية بين الصحابة إلى قسمين :

١ — الاختلاف في مسائل لم تصر فيها بعد من شعار جماعة من أهل الفرق .

٢ — الاختلاف في مسائل اجتهادية أيضاً اتخذها قوم من بعدهم تكأة إما للطعن في بعض الصحابة ، وإما جعلوها أساساً لبعثاتهم أو استدلوأ بها في مسألة من مسائلهم التي اتخذوها شعاراً لهم ، (١) .

فأمر العقيدة في عهد الخلفاء الراشدين ، قد ظل على ما كان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم . قد حدثت بعض الاختلافات ، بين الصحابة لكنها خلافاً لم تتناول مسائل العقيدة ، وإنما تناولت مسائل عملية اجتهادية يرى البعض أن تأثيرها قد امتد حتى شمل بعض مسائل الاعتقاد (٢) .

ومن أمثلة هذه الاختلافات :

أولاً : الخلاف حول الصحيفة : فقد روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه ، قال : « إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تهتأوا بعده » .

(١) أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٥ بتصرف .

(٢) الدكتور سعيد عبد التواب ، محاضرات في علم التوحيد ص ١٩٠ .

فاختلف من حوله : هل يجيئون بقرطاس ليلى عليهم الرسول ﷺ ، أم يكتبون بما علموه من كتاب الله وسنة رسوله ؟

وقال عمر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ، وكثر اللغط في ذلك حتى قال النبي ﷺ : « قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع » (١) .

قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ .

ويفسر هذا الحديث ماورد في كتاب عن عبد الله بن يوسف عن عائشة ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ادع لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر .

وفي رواية عبد الله بن ربيع عن عائشة : أن ذلك كان في اليوم الذي بدى فيه عليه السلام بوجعه الذي مات فيه ..

وقد استخلص ابن حزم من ذلك : أن الكتاب الذي أراد أن يكتبه ﷺ حينما غلبه الوجع ، هو معنى الكتاب الذي أراد أن يكتبه في أول مرضه أي النص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه (٢) .

ثانياً : كان النبي ﷺ قيسل مرضه الذي عقبه انتقل إلى الرفيق الأعلى ، قد جهز جيشاً وجعل على رأسه أسامة بن زيد ، ولما اشتد عليه

(١) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٥

(٢) راجع الدكتور سيد عبد التواب ، محاضرات في علم التوحيد

المرض توقف الجيش عن المسير ، وقال النبي ﷺ — في آخر حياته :
« جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه » .

ومع هذا اختلف الصحابة : أيتهمون بعث أسامة ليذانا للعرب ولغيرهم
بأن وجع النبي ﷺ ووفاته لم تكن عزائم أصحابه عن إتمام ما شرع فيه ،
أم يبقون أسامة ومن معه يترقبون ما يكون من العرب ، فقد كان بعضهم
يخشى انتقاض العرب ، اختلفوا في ذلك قيسل وفاة النبي ﷺ
وبعد وفاته .

ولكن أبابكر — رضى الله عنه — أصر على اتباع الأمر ، ثقة
منه بأن البركة في اتباع أمره ﷺ ، وأن في بعثه إرهاباً لمن تحدته نفسه
من العرب بالانتقاض (٢) .

ثالثاً : لما أذيع نعي النبي ﷺ هلع الخبر بعض أصحابه حتى غيب
عقولهم ، فاختلفوا : أ مات الرسول ﷺ أم لم يميت ؟ حتى قال عمر بن
الخطاب في هذا الصدد ، من قال إن رسول الله ﷺ قد مات ضربته
بالسيف ووقف أبو بكر — رضى الله عنه — يعلن أن النبي — ﷺ —
قد لحق بربه ، وأن شأنه في هذا الأمر شأن غيره من الناس ، ثم تلا على
الذين هالتهم المصيبة قول الله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضرب الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » (٢) .

وعندما سمع عمر هذه الآيات . ثاب إلى رشده ، وعلم أن وعد الله
حق ، وقلو قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » (٣) ، وقوله تعالى :

(١) راجع أنى الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين - ص ٣٥

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٤

(٣) سورة الزمر الآية ٣٠

«وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون» (١) فيخضع لقضاء الله وقدره ، ويؤمن بأن الله تعالى قد اختار لرسوله ما عنده بعد أن أكمل به الدين الذي رضيه لهم . ويقول : « والله لكأنى لم أسمع هذه الآية من قبل » (٢) .

رابعاً: حينما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى اختلف المسلمون في المكان الذي يدفنون فيه رسول الله ﷺ .

— أيدهبون بجثمانه الطاهر إلى مكة لأنها مكان مولده ومبعثه ثم فيها البيت الحرام الذي فيه القبلة ، وفيها قبر أبيه اسماعيل عليه السلام .

— أم يذهبون به إلى بيت المقدس فيدفنونه فيه حيث يوجد قبر أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأيضاً به كثير من الأنبياء ؟

— أم يلقونونه في المدينة لأنها دار هجرته، ومقر أنصاره الذين أظهر الله بهم الدين ؟

يقف أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — في هذه المسألة موقف الحكيم فيروى لهم أنه سمع النبي ﷺ يقرر « أن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون » وهنا تجتمع كلبة الصحابة رضوان الله عليهم على أن يدفن في ججرة عائشة التي مات فيها (٣) .

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٤

(٢) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ١ ص ٣٥ — ٣٦

يتصرف .

(٣) الشهرستاني الملل والنحل ١ ص ٣٠ وانظر الرازي اعتقادات

فروق المسلمين والمشركين ص ١٧

خامساً : منح جماعة من العرب الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ : فاختلَف الصحابة في شأنهم : أيقاتلونهم أم يتركونهم مخافة أن لا يقولوا على قتائهم فتضيع هيبة المسلمين إياهم وهنا — كما ذكر المصادر — ينقسم الصحابة إلى فريقين :

— الفريق الأول : يرى ترك قتالهم ، وهؤلاء على رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واستشهد بقول الرسول ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » .

— والفريق الثاني : يرى قتالهم وهؤلاء على رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ويرد أبو بكر على الرأي المخالف لرأيه بقوله : أليس قد قال النبي ﷺ بعد أن ذكر الحديث المتقدم « إلا بحقها » ومن حقها : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ؟ والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

ويقاتل ما نعى الزكاة حتى رجعوا إلى شرع الله بممثلين أو امره (١) .

وبعض الباحثين رأى أن هذا الخلاف لم يحسم وأن كل فريق تمسك برأيه واجتهاده ، فقد ظل عمر يناصر أبا بكر رضي الله عنهما حتى لا تنشب بالمسلمين السبل أو تنفرق الكلمة ، حتى إذا ولي الأمر بعد أن قضى أبو بكر نحبه طبق ما أدى إليه اجتهاده ، فرد إلى هؤلاء الذين قاتلهم أبو بكر منهم الزكاة ما أخذ منهم ، من سبايا وغنائم (٢) .

(١) انظر ابن حزم الفصل في الملل والنحل - ١ ص ٣٦ والرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٨ بتصرف .

(٢) الدكتور أمينة نصير ، مباحث في علوم العقيدة ص ٢٢ .

وقد امتد أثر هذا الخلاف حتى كان أصلاً لما حدث بعد ذلك من خلاف حول العمل وعلاقته بمفهوم الإيمان والإسلام (١).

سادساً : أما الاختلاف حول الإمامة بعد وفاة الرسول ﷺ فهو في مسائل اجتهادية ، وهو الذى بقى واستمر مصدر اضطراب في الأمة الإسلامية في كل عصورها (٢) ويقول الشهرستاني : « أعظم خلاف بين الأمة وقع خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان » (٣) .

فقد اجتمع عقب وفاة الرسول ﷺ في ثقيفة بنى ساعدة بمدينة الرسول ﷺ : المهاجرون والأنصار حيث وقع الاختلاف بينهم في الإمامة . فقال الأنصار للمهاجرين ، « منا أمير ومنكم أمير » .

وتزعم الأنصار سعد بن عبادَةَ الأنصارى ، ثم حضر أبو بكر رضى الله عنه واستدرك الأمر ، وكذلك عمر بن الخطاب وحصل خلاف شديد بين المهاجرين والأنصار ، وتسكلم كلاهما وعمل على رأب الصدع ، ولم الشعب ، وعملوا على تهدئة الفتنة ، وبايعوا أبا بكر بالخلافة ، وبايعه الأغلبية من المهاجرين والأنصار ، ما عدا نفر من بنى هاشم وأبى سفيان من بنى أمية وأمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى كان مشغولاً بتجهيز النبی ومراسم دفنه (٤) .

(١) الدكتور سيد عبد التواب ، محاضرات في علم التوحيد ص ٢٠

(٢) الدكتور مبارك حسن دراسة في القضايا الدخيلة على الفرق

الإسلامية ص ١٤

(٣) الشهرستاني الملل والنحل ١ ص ٣٠ تحقيق محمد فتح الله بدران

والرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٧

(٤) أبى الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ١ ص ٣٩ والشهرستاني .

الملل والنحل ١ ص ٣١

سابعاً : حصل بين الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ خلاف في أمر « فديك » والتوارث عن النبي ﷺ ، وحسم الخلاف بين الصحابة ما استدل به من الرواية المشهورة عن النبي ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء ما تركناه صدقة » (١) .

ثامناً : الخلاف حول تفويض عمر أمر الخلافة إلى سنة من الصحابة (٢) .

تاسعاً : الخلاف في أمر عثمان بن عفان وهل قتل مظلوما أم لا (٣) .
عاشراً : الاختلاف حولبيعة علي ثم الخلاف حول أصحاب واقعي صفين والجمل (٤) .

ويتبين مما ذكرنا أن أسس الخلافات التي قامت آنذاك وجدت في عهد الخلفاء الراشدين . وكان الحجاج بين هذه الخلافات قائم على النقل في غالب أمره ، وفي بعض الأحيان يكون مشوباً بالنظر العقلي .

— وينقل عن عمر — رضى الله عنه — : أنه أقام الحد على سارق وعزره بأن ضربه أسواطاً فوق القطع ، لأنه قد احتج على ما فعل بقوله : قضى الله على ذلك . فلما سئل عمر — رضى الله عنه — عن سبب ضربه بالسوط زيادة على قطع يده . قال : القطع للسرقة ، والجلد لأنه كذب على الله ، (٥)

(١) الشهر ستاني الملل والنحل ج ١ ص ٣١

(٢) الدكتور سيد عبد التواب ، محاضرات في علم التوحيد ص ٢٠

(٣) المصدر السابق ص ٢٠

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠

(٥) ابن المرتضى ، المنية والأمل ص ٨

— وعلى بن أبي طالب يتناول في كلامه كثيراً من مسائل العقيدة التي تدل على بصر نافذ، وعقل رائق . سأله يهودي يأمر متى كان ربنا عز وجل ؟ قال : « كان بلا كيف يكون ، كان ولا كينونة . ليس له قبل . هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية . انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية » (١) .

— ومن ذلك ما أجاب به عندما سأله رجل في مسجد الكوفة هل تصف لنا ربنا فنزداد له حباً ؟ فقال : « فكيف يوصف من عجزت الملائكة مع قريهم من كرسى كرامته أن يعلموا إلا ما علمهم ؟ فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته » .

وقوله حين سئل : أين الله ؟ فقال : « إن الذي أين الأين لا يقال له أين » ، فقليل له : كيف الله ؟ فقال : « إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف » (٢) .

— ومن ذلك حديث الرجل الذي سأل الإمام علي عند منصرفه من صفين : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء الله وقدره ؟

فقال علي : والذي خلق الحية ، وبرأ الذئبة ، ما هبطنا وادياً ولا علونا تلعة (٣) إلا بقضاء وقدر .

فقال الشيخ : عند الله احتسب عناي . أما لي من الأجر شيء ؟

فقال : بل أيها الشيخ عظم الله لكم الأجر في مسيرتكم وأتم سائرون

(١) ابن عساكر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٩٩

(٢) ابن المرتضى ، إنباء الحق ص ٩٨ .

(٣) التلعة كما في المصباح المنير : مجرى الماء من أعلى الوادي والتلعة أيضاً ما انهبط من الأرض فهي من الأضداد .

وفي منقلبكم وأنتم منقلبون ، ولم تتكروا في شيء من محالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرون .

فقال الشيخ : كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا ؟ .

فقال — رضي الله عنه — لعلك تظن قضاء واجباً ، وقدراً حتماً . لو كان ذلك لبطل الشراب والعقاب : وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تأتي من الله لائمة للذنب ، ولا محمداً لمحسن ، تلك مقالة اخوان الشياطين ، وعبداء الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور ، وأهل العماء عن الصواب في الأمور هم قدرية هذه الأئمة ومجوسها إن الله تعالى أمر بتحذيراً ونهى تحذيراً ولم يكلف مجبراً ، ولا بعث الأنبياء عبثاً « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » :

فقال الشيخ . وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟

فقال : أمر الله وأرادته بذلك . ثم تلا : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » .

فهص الشيخ مسروراً بما سمع (١)

وإن من يتأمل هذه المواقف فيقف على دوافعها وأبعادها وآثارها يجد نفسه أمام الحقائق التالية :

أولاً : كان لابد أن يتطالق العقل الإنساني في ظل القرآن الكريم بعد أن تحرر من أسر الملل والشغل والمذاهب والأديان السابقة وقدرى أن تعاليم الإسلام تدعو إلى استعمال العقل والتأمل والنظر . وإذا كان

يمنع الإنسان من الخوض في بعض المعتقدات فإنما كان ذلك آنذاك لمصلحة عقل الإنسان حتى يتمكن من التسليح بالعقيدة الإسلامية .

ثانياً : كان لابد أن تكون هناك أسئلة مثارة لأن العقل الإنساني لا يتوقف . ولا يجمد .

ثالثاً : ما كان الخلفاء الراشدون والصحابة — رضوان الله عليهم — يمنعون أنفسهم عن الإدلاء بما يرونه حقاً في أمور العقيدة التي تثار من آن لآخر .

رابعاً : مسائل العقيدة أخذت في عصر الخلفاء طابعاً أكثر تميزاً وافتتاحاً .

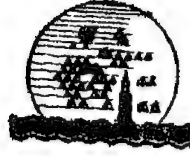
خامساً : امتلاء الساحة بالداخلين في الإسلام — وهم أصحاب عقائد سابقة — استدعى مواجهة ما قد يطفو من معتقدات والمواجهة تقتضي فهماً ووعياً ومعرفة .

والذين يواجهون الأفكار والتحديات لابد وأن يؤهلوا أنفسهم لهذه المواجهة ، ويتعرفون على ما عند الآخرين .

والعقيدة في الإسلام هي العقيدة في مفهومها ومدلولها وآثارها وقد أثرت في الفكر الإسلامي قضايا عقدية كان على الإسلام أن يواجهها . حتى تبقى عقيدة المسلمين فقية ، بعيدة عن الزيوف والدخيل . والمواجهة لها أسلحتها المختلفة وهي تحتاج إلى علم ومن هنا كانت بداية علم الكلام الذي أخذ طابعاً تميز عن غيره من العلوم .

وما يحذر أن نعرفه أن علم الكلام لم يكن موجوداً على عهد الرسول ﷺ — ولا على عهد الصحابة والتابعين لعدم حاجتهم إلى هذا

النوع من العلم آتئذ . فقد كانوا لصفاء عقائدهم ، وقرب العهد بزمان
الرسول ﷺ مستغنيين عن هذا العلم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى
لم يكن هناك من الأحداث والفتن والنزاع على عهدهم ما يستدعى الجدل
والأخذ والرد . بيد أن هذا الوضع لم يدم . فإنه لم تلبث الحال أن تبدلت
وجدت ظروف مهدت لنشأة هذا العلم فقد حدثت الفتنة بين المسلمين .
وظهر اختلاف الآراء ، وكثرت الفتاوى ، والواقعات ، والرجوع إلى
العلماء في المهمات . فاشتغلوا بالنظر والاستدلال وتمهيد القواعد
والأصول ووضع أسس البناء الذي تسكون حول هذه المنازعات (١)



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

(١) الدكتور سليمان سليمان خميس توضيح العقائد الفلسفية ص ٨ ط
دار نشر الثقافة

علم الكلام

— إن اصطلاح « علم الكلام » قد أطلق على نظام خاص من الفكر، قام بين المسلمين قبل الترجمة وسابقاً على وجود الفلسفة وأسمها، وأصحاب هذا النظام « الفن » كانوا يسمون « متكلمين » في مقابلة نوع آخر من المفكرين ، الذين ابتدؤوا بالكندى، وعرفوا باسم « الفلاسفة » فاصطلاح علم الكلام ظهر بين المسلمين على وجه طبيعي حين ثار الجدل بين المسلمين حول مسائل العقيدة (١) .

ولا بد أن يدرك أهل العلم أن هناك فرقاً بين الإسلام وبين الفكر الإسلامى . فالإسلام هو دين الله تعالى . المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . ومصدر الإسلام هو الكتاب والسنة . أما الفكر الإسلامى فهو العمل العقلى للمسلمين فى فهم ما جاء فى الكتاب والسنة . ومن ثم فإن الإسلام لأنه يعتمد على وحى معصوم لا اختلاف ولا تناقض فيه . أما الفكر الإسلامى فهو يمكن أن يقع فيه الاختلاف حسب اجتهادات المجتهدين ، ومستوياتهم الفكرية (٢) .

وإن الباحث فى تطور الفكر الإسلامى الذى يشمل العمل العقلى للمسلمين يجد أن هذا الفكر مر فى مرحلتين :

المرحلة الأولى : وكانت فى ظهور نظام موحد من الاعتقاد، مأخوذ من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد حكمت المرحلة الأولى بأفاس أتقياء ورعين . كان مهمهم الاقتداء برسول الله ﷺ ، ونشر الدين (٣) .

(١) الدكتور عبد العزيز سيف النصر ، فلسفة علم الكلام ص ٨٧ .
ط الجبلاوى

(٢) المصنوع السابق، ص ٨ .

(٣) الدكتور عبد العزيز سيف النصر فلسفة علم الكلام ص ٨

والمرحلة الثانية : كانت في ظهور ما دار حول مسائل اعتقادية انبث عنها العقل الإنساني من واقع مليء بالتساؤلات . وإذا كان وضع لنا أن هناك فرقاً بين الإسلام القائم على الكتاب والسنة ، وبين الفكر الإسلامي الذي هو العقل الخفي للمسلمين في فهم ما جاء في الكتاب والسنة . فإن الأمر يقتضي أن نعرف أن الإسلام يتكون من نوعين من التكاليف :

١ - التكاليف البدنية .

٢ - والتكاليف القلبية .

والتكاليف البدنية تتكون من التشريعات الإلهية التي تحكم جميع أفعال المسلمين . والعلم الذي يتناولها هو الفقه . ولهذا كان الفقه معرفة أفعال الله في المسكفين بالوجوب والحذر والتدب والكرامية والأباحة ، وهي متلقاه من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفة ما في الأدلة (١) .

أما التكاليف القلبية فهي العقائد التي تقررت في الدين والتصديق بها في القلوب ، والاعتقاد في الأنفس مع الإقرار بالآلئة . وهذا هو الإيمان في الإسلام الذي يتكون من قواعد ست ، بينها النبي ﷺ في حديث حين سئل عن الإيمان . فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » (٢) ، وقد قرر ابن خلدون أن هذه هي العقائد الإيمانية المقررة في علم الكلام (٣) .

وهكذا فإن علم الكلام يعني بالإلهيات في مقابلة الفقه ، والنقاش في هذه العقائد الإيمانية هو الذي كون علم الكلام كما قال ابن خلدون :

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٣٦

(٢) رواه الشيخان من حديث عمر

(٣) ابن خلدون المقدمة ص ٤٦٢

(٤) - علم العقيدة

« وهذه هي العقائد الايمانية في الذات ، والصفات ، وأمر الحشر ،
والنعيم ، والعذاب ، والقدر ، والحجج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم
الكلام » (١) .

وإذا كان الأمر — كما تبين لنا — فإن الفرق بين الإسلام القائم على
الكتاب والسنة ، وبين الفكر الإسلامي القائم على العمل العقلي للمسلمين
يتمنى إلى علاقة وطيدة الصلة ، صنع هذه العلاقة النقاش الذي دار حول
العلماء الايمانية .

فالسلف في محاولتهم شرح قواعد الإيمان كانوا يستشهدون بآيات
القرآن ، وأحاديث من السنة . ولما حدثت الخلافات في الرأي . وكانت
هذه الخلافات تتعلق بتفاصيل القواعد الايمانية ، وخاصة حول الآيات
المتشابهة (٢) دفدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل
زيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام ، (٣) .

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٣٦

(٢) انظر الدكتور عبد العزيز سيف النصر ، فلسفة علم الكلام ص ١١

(٣) ابن خلدون المقدمة ص ٤٦٣

تعريف علم الكلام

الكلام في اللغة هو القول أو اللفظ الدال على معنى يحسن السكوت عليه . وواحد الكلام كلمة . هي اللفظ الذي يتألف من أصوات منطوقة على هيئة حروف وتشير إلى دلالة ومعنى (١) .

وقد وردت كلمة «الكلام» في القرآن الكريم في عدة مواضع، وفسرت بمعاني مختلفة :

— قال تعالى « قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » (٢) .

— وقال تعالى : « يريدون أن يدلوا لكلام الله » (٣) .

— وقال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » (٤) .

ولفظ الكلام الوارد في هذه الآيات لا يحتمل معنى زائداً على صورة الكلام المتلفظ بها . ولا يتضمن أى إشارة إلى المناقشة والجدل الدائر حول مسائل الاعتقاد .

(١) الدكتور محمد على أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام
ص ١٣١ ط دار المعرفة

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٤٤

(٣) سورة الفتح : الآية ١٥

(٤) سورة التوبة : الآية ٦

وقد اتخذ الكلام معنى اصطلاحياً — فيما بعد — وتفرّد بمنهج عقلي خاص استهدف الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، وسميت الأقوال التي تصاغ كتابة أو شفاهاً على نمط منطقي أو جدلي كلاماً ، ولا سيما تلك التي تعالج المسائل الاعتقادية (١) .

— وعلم الكلام هو : العلم بأحكام الألوهية ، وإرسال الرسل ، صدقها في كل أخبارها ، وما يتوقف شيء من ذلك عليه ، خاصاً به وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك (٢) .

فأنت ترى : أن هذا التعريف يتضمن العلم بأحكام الألوهية ، وإرسال الرسل ، وصدقهم في كل ما يخبرون به ، ومنه أحكام المخاد ، وكذلك العلم بالشئ الذي تتوقف عليه أحكام الألوهية أو ثبوت إمكانية اللذان يتوقف عليهما ثبوت بعض أحكام الألوهية كثبوت القدرة ، والإرادة بما كان دليله العقل وثبوت بعض أحكام الرسالة ، كثبوت صدق الرسل في الأخبار الدالة على الأحكام الشرعية فإن ذلك متوقف على المعجزة المتوقفة على حدوث العالم (٣) .

ويلاحظ أن بعض العلماء : أن علم الكلام هو العلم بثبوت الألوهية والرسالة وما يتوقف معرفتهما عليه ، وجواز العالم ونحو ذلك ، وإبطال ما يناقض ذلك (٤) .

(١) الدكتور محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام .

ص ١٣١ ، ١٣٢

(٢) السنوسية الكبرى ص ٩٦

(٣) الدكتور عبد العزيز سيف النصر ، فلسفة علم الكلام ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) السنوسية الكبرى ص ٩٧ .

ويقول الغزالي: إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم، وصنعت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علماً وافياً بمقصوده غير واف بمقصودي وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش البدعة . فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار . ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها . فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثّة على خلاف السنة الماثورة (١) .

ويقول الفارابي: علم الكلام صيانة يقتدر بها الإنهتان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة ، وتزيف كل ما خالفها بالأقاويل (٢) .

ويقول الإيجي: « إن علم الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه » (٣) .

ويقول ابن خلدون: « علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة » (٤) .

(١) الغزالي المنقذ من الضلال ص ٨٧ ، ٨٨ ط دار الكتاب اللبناني .

(٢) الفارابي: إحصاء العلوم ص ١٦ .

(٣) الإيجي: المواقف ج ١ ص ٣٢ .

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٣٥ تحقيق د/ علي وافي .

ويذكر الشيخ محمد عبده : أن علم الكلام هو علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن تثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينفي عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه . وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم . (١) .

ويتضح للباحث من هذه التعريفات أن المتكلم يبدأ من مسلمة عقائدية مقررّة وضعها الشارع وهو — أي المتكلم — لا يقدح في صدقها بل يؤمن بها إيماناً كاملاً ، وينحصر دوره في الدفاع عنها بالأدلة العقلية والرد على مخالفها ودحض شبهاتهم حولها (٢) .

ولا يخفى أن علم الكلام سمي بعلم الكلام بسبب أو أسباب :

— فإما أن تكون التسمية جاءت من باب تسمية الكل باسم الجزء . فليست هناك صفة أثير حولها جدل ونزاع بين المتكلمين كما حدث في صفة الكلام (٣) .

— أو أنه سمي بذلك لأن الباحثين الأول في هذا العلم ، كانوا يترجمون لمساألة بقولهم : الكلام في القدرة ، الكلام في العلم ، الكلام في الوحدة ، فشاع الكلام على هذا العلم وغلب عليه فالتسمية من باب الشيوع والذيع والغلبة (٤) .

(١) محمد عبده رسالة التوحيد ص ٤ ط دار المعارف بمصر .

(٢) الدكتور محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام .

ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) سليمان سليمان خميس : توضيح العقائد النسفية ص ٦ .

(٤) الدكتور أمّنة نصير : مباحث في علوم العقيدة ص ٦٧ .

— أو سمي بذلك لأنه يكسب المتكلم قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم .

— ولأنه أول ما يجب من العلوم التي تعلم وتكلم بالكلام فأطلق عليه هذا الاسم . ولم يسم غيره به تمييزاً له .

— ويرى البعض أنه سمي بعلم الكلام باعتبار ما يتحقق به ذلك لأن مسأله إنما تتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين بخلاف غيره . من العلوم فإنه يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب .

— ويرى البعض أنه سمي بعلم الكلام لأنه أكثر من غيره خلافاً ونزاعاً فهو مفتقر إلى الكلام أكثر من غيره للرد على المخالفين (١) .

— أو أنه سمي بذلك لقوة أدلته فصار كأنه هو الكلام دون ما عداه كما يقال للأقوى من الكلام هذا هو الكلام (٢) .

— أو أنه سمي بعلم الكلام لا بثنائه على الأدلة القطعية المؤيدة في كثير من الأحيان بالأدلة النقلية فكان أشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلباً فيه فسمى بالكلام المشتق من الكلم — بفتح الكاف وسكون اللام — وهو الجرح (٣) .

— وقول الدكتور مصطفى عبد الرازق : « ويبدو لي أن البحث في »

(١) سليمان سليمان خميس : توضيح العقائد النسفية ص ٦ .

(٢) التفزاني : شرح العقائد النسفية ص ١٩ طه كروستان العلمية

١٣٢٩ هـ .

(٣) انظر امتازاني شرح العقائد النسفية ج ١ ص ١٩

وسليمان سليمان خميس توضيح العقائد النسفية ص ٧

أُمُور العقيدة كان يسمى كلاماً قبل تدوين هذا العلم . وكان يسمى أهل هذا البحث متكلمين . فلما دونت الدواوين وألفت في هذه المسائل ، أطلق على هذا العلم المدون ما كان لقباً لهذه الأبحاث قبل تدوينها (١) .

ولإن الباحث في أسماء علم الكلام يجد أن له أسماء أخرى غير اسم علم الكلام . وهذه الأسماء الأخرى نجعلها فيما يأتي إتماماً للفائدة .

— علم التوحيد والصفات . وقد أطلقت هذه التسمية على هذا العلم لأن التوحيد والصفات أم مباحثه وأشرف مقاصده .

— علم أصول الدين وذلك باعتبار موضوعه وقضاياها التي يبحثها ومباحث العقيدة أصل لما تلاها من علوم الدين الأخرى كال تفسير والفقهاء والحديث . كما عرفت هذه التسمية — علم أصول الدين — بأنه يبحث في العقائد التي هي الأصول التي يجب على كل مكلف أن يعتقد ما قبل أن يقدم على العمل . بل إن العمل لا ينفع في الدار الآخرة بدون اعتقاد هذه المسائل العقدية .

— وسمى بالفقهاء الأكبر في مقابل العلم الباحث في الأحكام الفرعية المسمى بالفقهاء . وذلك لأنه الفقه في الدين أما البحث في الأحكام الشرعية العملية المسمى في العرف بالفقه فهو فقه في العلم ولا شك أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم ولذلك سمي هذا العلم بالفقه الأكبر ، ويقول الإمام أبو حنيفة ، « الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم لأن الفقهاء في الدين أصل والفقه في العلوم فرع وفصل الأصل على الفرع معلوم » (١) .

(١) الدكتور مصطفى عبد الرازق ، تهديد لتاريخ الفللفة الإسلامية

ص ٢٦٥

(٢) المصدر السابق

— ويسمى عند البعض بأنه علم « العقيدة » . وهذه التسمية أطلقت بناء على الثمرة المرجوة منه وهي انقياد القلب انعقاداً جازماً لا يقبل الانفكاك (٢) .

ويبدو أن التسمية لهذا العلم « بعلم الكلام » هي أشهر أسمائه . كما أنها أتم الأسماء وأشملها لما لها من الأسباب والاستجاب . وقد أطلق هذه التسمية علماء الكلام أنفسهم . وقد بالغ المتكلمون في الاعتداد بأنفسهم ، وأنهم وحدهم أصحاب الكلام ، مما أثار عليهم نقمة الكثيرين في عصرهم . يقول يحيى بن عدي مشيراً إلى طائفة المتكلمين : « إني لأعجب كثيراً من قول أصحابنا إذا ضناؤناهم مجلس ، قولهم نحن المتكلمين ، نحن أرباب الكلام والكلام بنا صح وانتشر كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل كلام لعلمهم عند المتكلمين خرس أو سكوت » (٣) .

ويذكر العلماء : أن علم الكلام لم ينشأ رغبة من المتكلمين في الجدل والمراء ، وإنما نشأ دفاعاً عن الدين ، ودرءاً للخطر ، الذي كان يزلزل قضايا الإسلام من نفوس المسلمين .

وعلم الكلام لم ينشأ نتيجة سبب بعينه ، وإنما هو نتاج أسباب متضامنة ، وعوامل متضافرة ، حلت بالبيئة الإسلامية ، واقتضت وجوده على الصورة التي نراه عليها في تاريخ الفكر الإسلامي (١) .

(٢) الدكتور محمد عبد الستار نصار ، العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها ص ١٢

(٣) الدكتور محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٣٢

(١) الدكتور سامي عفيفي حجازي ، مدخل لدراسة علم الكلام ص ١٧ ط دار الطباعة المحمدية .

ولا يخفى أن كثيرين ممن دخلوا الاسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة يهودية ونصرانية ومجوسية وصابئة وبراهمة وغيرها . وقد أظهروا آراء دياناتهم القديمة في ثوب دينهم الجديد (٢) .

ولما انتهى المسلمون من الفتح الإسلامي أخذت تظهر أفكار مجانبية للصواب من أصحاب الديانات القديمة . مما أحدث اضطرابا وقلقا . ووسط هذا الاضطراب الفكري والمبادئ التي كونتها كل فرقة لنفسها قام جماعة من المخلصين يشرحون عقائد المسلمين كما هي في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن أشهرهم الحسن البصري ثم كان الإمام أبو حنيفة وأتباعه (٣) .

وفي أواخر القرن الثالث ظهر أبو منصور الماتريدي ، واشتغل بالرد على أصحاب العقائد الباطلة ، وتكونت منه ومن أتباعه فرقة الماتريدية .

وفي أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع كان الإمام الطحاوي وأبو الحسن الأشعري الذي أعلن انفصاله عن المعتزلة وقرر مبادئه الدينية التي صار إليها خيرة علماء المسلمين .

ومن هنا كانت جماعة أهل السنة التي توالى عليها علماء الإسلام كالإمام الجويني والغزالي والفخر الرازي وعضد الدين الأيحيى والبيضاوي وسعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني ثم علماء الأتراك وغيرهم إلى اليوم (١) .

والتأليف في علم الكلام لم يسكن على يد طائفة المعتزلة فحسب وعلم .

(١) المصدر السابق ص ١٨

(٢) دكتور سامي عفيفي خجازي ، مدخل لدراسة علم الكلام ص ١٩ .

(٣) الدكتور علي جبر ، مذكرة في علم التوحيد ص ٢٠ .

الكلام الذى ذمه الشافعى وغيره من الأئمة ، إنما هو علم الكلام الحاوى لمذاهب المخالفين الذين أدخلوا فى قضايا الإسلام أشياء خالفت ما كان يعتقد المتقدمون من الصحابة والتابعين وجمهور الأمة وكانت كتبهم تحت لفظ علم الكلام (١) . ولذا يجدر بالإنسان أن يفرق بين علم الكلام الذى دخل فيه من الفلسفة ما لا يتفق والكتاب والسنة وبين علم الكلام المؤسس على الكتاب والسنة فى مسائله (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٢١

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنصاف إليه -

موضوع علم العقيدة

من المعروف لدى الباحثين والدارسين أن العلوم تتعدد بتعدد موضوعاتها والعلم يشتمل على مسائل متعددة تجمعها جهة واحدة . ذاتية هذه الجهة تسجي موضوع ذلك العلم .

فموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبين الإنسان ، علم الطب فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الصحة والمرض ؛ وكالكليات لعلم النحو ، فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء (١) .

ولما كان علم العقيدة اتخذ معنى اصطلاحياً استهدف الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية . وصار الكلام : العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل . كان من المؤكد أن يكون موضوع علم العقيدة يدور حول قضايا العقائد الإيمانية بشكل عام ، وفي الدين الإسلامي بشكل خاص وعلى هذا فموضوع علم العقيدة هو البحث حول القضايا الإيمانية في العقيدة الإسلامية .

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم . إذ طلع رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ . فأسند ركبتيه ووضع كفيه على خفيه . وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت فمطينا له يسأله ويصديه .

(١) انظر الجرجاني ، التعريفات ، ص ٢٣٦ ط بيروت لبنان .

قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت .
قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل » (١) .

وهذا الحديث الشريف يتضمن الأصول الأساسية للعقيدة الإسلامية التي أوجب الإسلام على المسلمين الإيمان بها . والتي يمكن وضعها في المباحث التالية :

— مباحث الإلهيات : وهي معرفة الله تعالى وصفاته والإيمان بهما .
— ومباحث النبوات : وهي الإيمان برسول الله وملائكته وكتبه .
— ومباحث السموات : وهي معرفة البعث والحساب والجزاء والإيمان بها .

ولما كانت مباحث هذه الأصول متعددة ، فقد تعددت أقوال المتكلمين فيما يتعلق بموضوع علم العقيدة لدى المتقدمين والمتأخرين .
— فموضوع علم العقيدة لدى المتقدمين يشتمل على :
(أ) الإلهيات : ويقوم البحث فيها حول ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله .

(ب) النبوات : ويقوم البحث فيها حول النبوة والرسالة وصفات الأنبياء والرسل والمعجزات التي يظهرها الله تعالى على أيديهم تأييداً لهم من حيث أنهم الصفوة المختارة من خلق الله تعالى (٢) . يقول الشهرستاني

(١) برواه الشيخان البخاري ومسلم .

(٢) انظر الدكتور سامي عفيفي حجازي مدخل لدراسة علم الكلام ،

« والأنبياء خيرة الله في خلقه ، وحجة الله على عباده والوسائل إليه ،
وأبواب رحمته ، وأسباب نعمته . وكما يصطفيهم من الخلق قولا بالرسالة
والنبوة يصطفيهم من الخلق فعلا بكمال الفطرة ونقاء الجوهر ، وصفاء
العنصر ، وطيب الأخلاق ، وكرم الأعراق ، فيرقيهم مرتبة
مرتبة ، (١) .

(ج) السمعيات : ويقوم البحث فيها حول القضايا التي لا تتعلق بالإيمان
للشرع كالبعث والحشر والميزان والحوض والشفاعة والثواب والجنة
والنار . وما إلى ذلك من أحوال الحياة الآخرة (٢) .

وهذا الاتجاه — كما ترى — يقرر موضوع علم العقيدة من خلال
أصول الدين فيرى أنه ذات الله سبحانه وتعالى من حيث ما يجب له وما
يستحيل وما يجوز ، والرسول من حيث ما يجب لهم وما يستحيل عليهم ،
وما يجوز في حقهم ، ثم السمعيات كالمعاد والحشر والحساب (٣) .

ويذكر البيضاوي أن موضوع علم التوحيد هو ذات الله تعالى ،
وذوات المخلوقات ، لأنه يبحث عن صفات الله وأحوال المخلوقات من
حيث أنها توصل إلى اليقين فيما يجب الإيمان به (٤) . وهو كل

(١) أبي الفتح الشهرستاني — نهاية الأقدام في علم الكلام
ص ٤٦٣ .

(٢) الدكتور سامي عفيفي حجازي — مدخل لدراسة علم الكلام
ص ٤١ .

(٣) الدكتور محمد عبد الستار نصار — العقيدة الإسلامية أصولها
وتأويلاتها ص ٢٥ .

(٤) انظر التفاتاني — شرح المقاصد ج ١ ص ١٠ وراجع الشيخ
مصطفى عبد الرازق التمهيد في تاريخ الفلسفة ص ٢٦١ .

ما أخبر به الأنبياء عن الله تبارك تعالى (١).

— وهناك اتجاه عند بعض المتأخرين يقرر أصحابه : أن موضوع علم العقيدة أوسع من أن يحصر — فيما سبق يسانه لدى المتقدمين — لأن هناك كثيراً من المباحث قد تبدو غير وثيقة الصلة بدراسة العقيدة . ولكن التحقيق أثبت أنها لازمة وضرورة في دراسة هذا العلم . كدراسة أحوال الممكنات التي يتوصل بها إلى ضرورة الإيمان بوجود واجب الوجود (٢) إلخ . . يقول صاحب المواقف في بيان موضوع هذا العلم : « وهو المعلوم من حيث ما يتعلق به لإثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً » لأن مسائل هذا العلم : إما عقائد دينية كإثبات القدم والوحدة للصانع ، وإثبات الحدوث ، وصحة الإعادة للأجسام . وإما قضايا تتوقف عليها تلك العقائد كتركيب الأجسام من الجواهر الفردة ، وجواز الخلاء ، وكإتقاء الحال ، وعدم تمايز المعدومات المحتاج إليها في اعتقاد كون صفاته تعالى متعددة موجودة في ذاته (٣) .

— كما يطلق موضوع علم العقيدة عند بعض المتأخرين من علماء العقيدة على أنه المعلوم من حيث ما يتعلق به لإثبات العقائد الدينية . أى المعلومات .

∴ أى من حيث دلالتها على أن موجودها واجب الوجود .

∴ ومن حيث دلالتها على صفاته ونعوته الجلية .

∴ ومن حيث دلالتها على أفعاله الحكيمة .

(١) (٢) الدكتور محمد عبد الستار نزار — العقيدة الإسلامية ص ٢٦ .

(٣) الإيجي — المواقف ج ١ ص ٤٠ شرح الجرجاني

أى من حيث ما يعرض للمعلومات من وجوب واستحالة ونحوه
للتوصل بالتالى إلى واجب الوجود ، وصفاته الجلية ، وأفعاله
الحكيمة (١) .

— وقيل موضوع علم العقيدة : الوجود من حيث هو موجود .
وإنما يمتاز عن العلم الإلهى الباحث عن أحوال الوجود المطلق باعتبار
الغاية ، لأن البحث فى الكلام على قواعد الشرع ، وفى الإلهى على مقتضى
العقل .

— ويرى البعض أن موضوع علم العقيدة هو ماهيات الممكنات من
حيث دلالتها على وجوب وجود موجد لها وصفاته وأفعاله أى لا من
حيث كونها جواهر وأعراض (٢) .

وعلى هذا وذلك يمكن أن يقال : أن تعذر الآراء فى موضوع علم
العقيدة راجع إلى طبيعة المناهج والقضايا التى كان يتناولها هذا العلم فى
العصور المختلفة .

(١) الدكتور مصطفى عمران فى الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٣٢ من
القسم الأول تحقيق ودراسة .

(٢) الدكتور عبد العزيز سيف النصر — فلسفة عام الكلام ص ٦٩ .

تميز علم العقيدة

من المعروف لدى الباحثين : أن العلوم تتمايز بتمايز موضوعاتها ، فإذا وجدت علمين قد تميز أحدهما عن الآخر ، علمت أن لهذا موضوعاً ، ولهذا موضوعاً ، وأن هذين الموضوعين متمايزان تمايزاً أدى إلى تميز هذين العلمين .

وعلم العقيدة كغيره من العلوم الأخرى ، له موضوعه الخاص الذي يميزه عن غيره .

هذا الموضوع الذي يمتاز به ذلك العلم عن غيره هو ذات الله ورسله من حيث ما يجب ، وما يستحيل ، وما يجوز . أو هو الموجود أو المعلوم من حيث يتعلق به لإثبات العقائد الدينية (١) .

وإذا كان تميز علم العقيدة عن غيره من العلوم واضح . فإن هناك علمين قد يظن أنهما ليسا متميزين عنه .

هذان العلمان هما : الفقه ، وأصول الفقه ، ومنشأ هذا الظن هو أن كلا منهما يبحث في الأحكام الشرعية ، كما أن علم العقيدة يبحث فيها أيضاً .

ولكن هذين العلمين متميزان أيضاً عن علم العقيدة ، ومتميز كل منهما عن الآخر ، لأن لكل منهما موضوعه الذي يميزه .

فموضوع علم الفقه : أعمال المكلفين من حيث بيان كيفيةها من وجوب ، وحرمة ، وكراهة ، ونقد ، وإباحة (٢) .

(١) انظر سليمان سليمان خميس — توضيح العقائد النسفية ص ٥ .

(٢) سليمان سليمان خميس — توضيح العقائد النسفية ص ٦ .

(٥ — علم العقيدة)

وما قد يتوهم من أن موضوع الفقه أعم من العمل . لأن قولهم ، الوقت سبب وجوب الصلاة من مسائله ، وليس الموضوع فيها عملاً ولأن الفرائض « الميراث » من الفقه وموضوعه التركة ومستحقوها ولأن مسألة الصبي والمجنون من مسائله إلى غير ذلك من المسائل التي ليس موضوعها راجعاً إلى العمل . . ما قد يتوهم من ذلك مردود لأن تلك المسائل وأمثلة لها يرجع الموضوع فيها إلى العمل بتأويل فيؤول ما ذكر هكذا : الصلاة تجب بسبب الوقت ، ومسألة الصبي ، والمجنون ترجع إلى فعل الولي ، وموضوع الفرائض ينبغي أن يكون قسمة التركة (١) .

فموضوع علم الفقه : أعمال المكلفين من حيث بيان كيفيةها من وجوب وحرمة ونadb وإباحة .

أما موضوع أصول الفقه : فهو استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة السمعية . فعلم الفقه يقول مثلاً : الصلاة واجبة . والدليل على وجوبها قول الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٢) . لكنه لا يعرفنا كيف استنبط حكم الوجوب ، أما علم أصول الفقه فإنه يقول لنا مثلاً : الصلاة واجبة ، لأن الله قال لنا « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٣) . والحكم صدر على سبيل الأمر والأمر يفيد الوجوب . فالفقه بين الحكم فقط . وعلم أصول الفقه بين كيفية استنباط الحكم . ولا شك أن بيان الأحكام العملية ، وبيان كيفية استنباطها تختلف تمام الاختلاف عن الحديث عن عقيدة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر : وما فيه من ثواب وعقاب . الذي هو موضوع علم العقيدة ، ولذلك سمي الإمام

(١) المصدر السابق ص ٦

(٢، ٣) سورة البقرة الآية ٤٤

أبو حنيفة الكلام بأنه الفقه الأكبر مقابل علم الأحكام العملية المسمى بعلم الفقه الأصغر (١).

أما علم الكلام فإنه باب من الاعتبار في أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقصيح، والإحالة، والتصحيح، والإيجاب، والتجوز، والافتدار، والتعديل، والتجوير، والتوحيد، والتفكير.

والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق ينفرد به العقل، وبين جليل يفزع إلى كتاب الله تعالى. ثم التفاوت في ذلك بين المتحليلين به على مقاديرهم في البحث، والتنقيب والفكر، والتجوير، والجدل والمناظرة، والبيان، والمناضلة والظفر بينهم بالحق سجال، ولهم عليه مكر ومجال. وبابه مجاور لباب الفقه والكلام فيهما مشترك. وإن كن بينهما انفصال وتباين. فإن الشراكة بينهما واقعة، والأدلة فيهما متضاربة، ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه وحدته وامتداده وانقراضه يشاور العقل، ويستخدمة، ويستضيء به، ويستفهمه (٢).

ويختلف علم الكلام عن الفلسفة في أن الكلام خاص بدين معين فهو جدل يدور حول أصول دين بعينه. ولكن الفلسفة تبحث عن الحقيقة على وجه العموم.

ومن حيث المنهج نجد أن الكلام يبدأ من مسلمات عقائدية يفترض

(١) انظر الدكتور أمنة نصير — مباحث في علوم العقيدة ص ٦٩

(٢) مصطفى عبد الرازق — التمهيد ص ٢٥٨، ٢٥٩

وانظر أبو حيان التوحيدي — ثمرات العلوم المطبوع مع كتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق ط ١٣٢٣ هـ المطبعة الشرقية بمصر

صحتها أى أن المتكلم يبدأ من قاعدة معترف ثم يتلمس الطرق التى تؤدى إلى إثبات هذه القاعدة ، أما الفيلسوف فإنه يبدأ من درجة الصفر أى من قواعد المنطق الأساسية والمقدمات البديهية ، ويتدرج منها إلى النتائج مستخدماً منها عقلياً صرفاً .

فمثلاً يسلّم المتكلم بوجود الله ووحدة إيمته . ولكنه يحاول إقامة الأدلة على وجوده لمواجهة الخصوم والدفاع عن العقيدة . أما الفيلسوف فإنه لا يسلّم بأى شيء عند البداية ، ويحاول البرهنة على وجود الله ، فهو قبل إقامة الدليل على وجوده لم يكن يسلّم بهذا الوجود أصلاً (١)

(١) الدكتور محمد على أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام

فائدة علم العقيدة وغايته وأهميته

لما كانت قضايا علم العقيدة تدور حول معرفة الله تعالى ، وما يجب في حقّه ، وما يجوز ، وما يستحيل عليه . وأيضا في حق الرسل بالأدلة اليقينية ، كان لا بد من الإلمام بقضايا هذا العلم المشتمل على جليل الكلام ودقيقه . والإلمام بتلك القضايا يخرج الباحث من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان ، وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجج لهم ، وإلزام المعاندين بإقامة الحجج عليهم ، وحفظ قواعد الدين عن أن تزولها شبه المبطلين .

كذلك يبنى على علم العقيدة ما عداه من العلوم الشرعية ، فإنه أساسها وإليه يقول أخذها واقتباسها . فإنه ما لم يثبت وجود صانع عالم ، قادر ، مكلف ، مرسل للرسل ، منزل للكتب لم يتصور علم تفسير ، ولا علم فقه ، وأصوله . فكلها متوقفة على علم العقيدة ، مقتبسة منه ، فالأخذ فيها بدونه كيان على غير أساس ، وغاية هذه الأمور كلها الفوز بسعادة الدارين (١) .

يقول الشيخ محمد البيجورى : « وثمرته — أى علم العقيدة — معرفة الله بالبراهين القطعية ، والفوز بالسعادة الأبدية » (٢) .

وهذا الكلام — على إيجازه — يحمل معنى كثيرة : فمعرفة الله

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى — مذاهب الإسلاميين ج ١ ص ١١
ط دار العلم للملايين ، وانظر الدكتور سامى عفيفى حجازى — مدخل
لدراسة علم الكلام .

(٢) إبراهيم البيجورى — تحفة المريد على جوهره التوحيد ص ٩

بالبراهين القطعية التي تفيد اليقين دونها جهود ينبغي أن تبذل ممن يريد .
بالتأمل ، والتفكير ، والاعتبار في النفس والآفاق . والمعرفة أوسع من
أن تحصر في إثبات الوجود لله تعالى ، بل تشمل الواجبات والممكنات ،
والمستحيلات في حقه ، وفي حق من يختارهم لتبليغ رسالته . وفي نفس
الوقت تؤدي معرفة الله على هذا الشكل إلى الإيقان باليوم الآخر وما فيه ،
وبالكتب التي أنزلها على رسله (١) .

وعلى هذا يتضح أن فائدة هذا العلم لإثبات العقائد الدينية بالأدلة
العقلية التفصيلية ، أو دفع شبه المعارضين لها أيضا بواسطة الأدلة العقلية
التي تدحض حجج الخصم وتدفع شبهه .

وإن الباحث في كتاب المواقف للإيجي يجد أن الإيجي قد ذكر فوائد
علم العقيدة في أمور نجملها فيما يلي :

— الأمر الأول : الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان .
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (٢) . خص العلماء
الموقنين بالذكر مع اندراجهم في المؤمنين ، رفعا لمنزلتهم ، كأنه قال :
وخصوصاً هؤلاء الأعلام منكم .

— الأمر الثاني : إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم إلى عقائد
الدين وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم .

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار — العقيدة الإسلامية .

ص ٢٧ ، ٢٨

(٢) سورة المجادلة ، الآية رقم ١١ .

— الأمر الثالث : حفظ قواعد الدين أن تزول لها شبه المبطلين .
— الأمر الرابع : أن يبنى عليه العلوم الشرعية الفرعية ، فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها .

— الأمر الخامس : صحة النية في الأعمال وصحة الاعتقادات (١) .
وأن المتأمل فيما ذكره صاحب المواقف في فوائد علم العقيدة يلاحظ أن هذه الفوائد :

إما راجعة إلى الشخص الدارس للعلم بإخراجه من التقليد إلى اليقين ، وتصحيح نيته وعقيدته .

وأما راجعة إلى غير الدارس ، فإن كان مسترشداً فقد أعانه هذا العلم بإيضاح الطريق أمامه ، وإن كان معانداً فقد ألزمه بالحجة والبرهان .

كما ترجع الفوائد أيضاً إلى تثبيت قواعد الدين بדרء الشبهات والأباطيل فكأنها والحالة ذات ثلاث جهات : جهة راجعة إلى الشخص نفسه ، وجهة راجعة إلى غيره ، وجهة ثالثة راجعة إلى قواعد الدين نفسها (٢) .

وقد أورد صاحب المقاصد فائدة دنيوية لهذا العلم فقال : « ومنفعته في : نيا انتظام أمر المعاش على وجه لا يؤدي إلى الفساد ، وأما في الآخرة ، فهي النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (٣) . »

(١) الإيجي ، المواقف ج ١ ص ٥١ ، ٥٢

(٢) نظر الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية ص ٢٨ ، ٢٩

والدكتور سامي عفيفي حجازي مدخل لدراسة علم الكلام ص ٤٧

(٣) التنازلي المقاصد ج ١ ط الحلبي .

ولعل الفائدة الدنيوية المذكورة هنا — كما يقول الدكتور نصار —
مبجلة بأن الإنسان متى تيقن من أصول دينه ، بنى عليها سلوكه مع الله ومع
غيره ، فتستقر الحياة ، ويزول الاضطراب ، وهنا يظهر ما لهذا العالم من
أثر في الدنيا والآخرة على السواء (١) .

والغاية التي وراء كل غاية إنما هي تحصيل السعادات الدنيوية والأبدية
كنتيجة طبيعية لتحصيل الاعتقادات الحقة والإدراكات المطابقة التي
يجنيها بنو البشر إن شاء الله تعالى من دراستهم لعلم العقيدة (٢) .

أما إذا أردنا أن نقف على أهمية «علم العقيدة» فيحسن بنا أن نرجع
إلى الغزالي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» فقد ذكر تهديدات في الكتاب،
جاءت تبرز أهمية علم العقيدة في حياة الناس ولندكر هذه التهديدات، تهديداً
تهديداً ، حتى يتبين لنا الطريق .

التهديد الأول : في بيان أن الخوض في هذا العلم مهم في الدين : اعلم
أن صرف الهممة إلى ما ليس بهمهم وتضييع الزمان بما عنه بد هو غاية الضلال،
ونهاية الخسران، سواء كان المنصرف إليه بالمهمة من العلوم، أو من الأعمال
فتعوز بالله من علم لا ينفع، وأهم الأمور لسكافة الخلق نيل السعادة الأبدية،
واجتناب الشقاوة الدائمة .

وقد ورد الأنبياء وأخبروا الخلق بأن الله تعالى على عباده حقيقاً
ووظائف على أفعالهم وأقوالهم وعقائدهم، وأن من لم ينطق بالصدق لسانه،
ولم ينطو على الحق ضميره، ولم تتزين بالعدل جوارحه، فقصيره إلى النار،
وعاقبته البرار .

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية ص ٨

(٢) الدكتور سامي عفيفي حجازي مدخل لدراسة علم السام ص ٤٨

ثم لم يقتصر على مجرد الأخبار ، بل استشهدوا على صدقهم بأمر غريبة ، وأفعال عجيبة ، خارقة للعادات ، خارقة عن مقدورات البشر ، فمن شاهدها ، أو سمع أحوالها بالأخبار المتواترة ، سبق إلى عقله إمكان صدقهم ، بل غلب على ظنه ذلك ، بأول السماع قبل أن يمحى النظر ، في تمييز المعجزات من عجائب الصناعات ...

وهذا الظن البديهي أو التجويز الضروري ، يزرع الطمأنينة من القلب ويخشوه بالاستشعار بالخوف ، ويهيجه للبحث والافتكار ، ويسلب عنه الدعة والقرار ، ويحذره مغبة التسهل والاهمال ، ويقرر عنده أن الموت آت لا محالة ، وأن ما بعد الموت منطوق عن أبصار الخلق ، وأن ما أخبر به هؤلاء غير خارج عن حيز الإنكار ، فالخزم ترك التواني ، والكشف عن حقيقة الأمر ...

فما هؤلاء مع العجائب التي أظهروها في إمكان صدقهم — قبل البحث عن تحقيق قولهم — بأقل من شخص واحد ، يخبرنا عند خروجنا من دارنا ، ومحل استقرارنا ، بأن سبعا من السباع قد دخل الدار فخذ حذرنا واحترز منه لنفسك جهدك ، فأنا بمجرد السماع إذا رأينا ما أخبرنا عنه في محل الإمكان والجواز ، لم نقدم على الدخول ، وبالغنا في الاحتراز فالموت هو المستقر والوطن قطعاً ، فكيف لا يكون الاحتراز لما بعده مهما ؟

فإذن أهم المهمات : أن نبحث عن قوله الذي قضى الذهن في بادية الرأي ، وسابق النظر بإمكانه ، أهو محال في نفسه على التحقيق . أو هو حق لاشك فيه ؟ فن قوله : إن لكم رباً ، كلفكم حقوقاً ، وهو يعاقبكم على تركها ، ويثيبكم على فعلها وقد بعثني رسولا إليكم ، لأبين لكم ذلك ، فيلزمنا — لا محالة — أن نعرف أن لنا رباً أم لا ؟

وإن كان فهل يمكن أن يكون حياً متكاملاً ، حتى يأمر وينهى ويكلف ويبيح الرسل ؟ وإن كان متكاملاً ، فهل هو قادر على أن يعاقب ويشيب ، إذا عصيناه ، أو أطعناه ؟ وإن كان قادراً فهل هذا الشخص بعينه صادق في قوله : أنا الرسول إليكم ؟

فإن اتضح لنا ذلك ، لزمنا لا محالة ، إن كنا عقلاء أن نأخذ حذرنا ، وننظر في أنفسنا ، ونستحقق هذه الدنيا المنقرضة ، بالإضافة إلى الآخرة الباقية ، فالعاقل من ينظر لعاقبته ، ولا يغتر بعاجلته .

ومقصود هذا العلم : إقامة البرهان على وجود الرب تعالى وصفاته وأفعاله ، وصدق الرسل ... كل ذلك مهم لا يحيز عنه لعاقل ، (١) .

وبجملة ما يقال : أن الغزالي ضمن هذا التمهيد بيان أهمية الاشتغال بعلم العقيدة ، وأنه إسلام الوجه لله تعالى ، وأن إسلام الوجه لله هو التوحيد والتوحيد هو الذي يوصل الإنسان إلى معرفة الخالق ، كما يوصله إلى الوقوف على الأدلة التي يعرف بها صدق الرسل وما جاءوا به ، والرسل حملة الدين ودعائه وهداته .

ومن هنا كان علينا أن نبحث عن حقيقة ما أخبرت به الرسل ؟ وكل هذا معرفته ضرورية لبني البشر الأمر الذي من أجله كان الاشتغال به من المهمات في قضايا الدين ، وبه تحصل السعادة في الدنيا والآخرة (٢) .

(١) الإمام الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٧

(٢) انظر الدكتور سامي عفيفي حجازي الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام الغزالي ص ٣٣ ط دار الطباعة المحمدية ١٤٠٩ هـ

التمهيد الثاني : في الخوض في هذا العلم ، وإن كان مهما ، فهو حق .
بعض الخلق ليس بهم ، بل المهم لهم تركه .

« اعلم أن الأدلة التي نحررها في هذا العلم ، تجري مجرى الأدوية التي
يعالج بها مرضى القلوب ، والطبيب المستعمل لها إن لم يكن حاذقا ،
ثاقب الفكر ، رصين الرأي ، كان ما يفسده بدوائه ، أكثر مما يصلحه ،
فليعلم المحصل لضمون هذا الكتاب ، والمستفيد لهذه العلوم أن الناس
أربع فرق :

الفرقة الأولى : طائفة آمنت بالله ، وهدقت رسوله ، واعتقدت الحق .
وأضرته ، واشتغلت إما : بعبادة ، وإما بصناعة ، فهؤلاء ينبغي أن
يتركوا وما هم عليه ، ولا تحرك عقائدهم ، باستحثاث على تعلم هذا العلم ،
فإن صاحب الشرع — صلوات الله عليه — لم يطالب العرب في مخاطبته لإياهم
بأكثر من التصديق ، ولم يفرق أن يكون ذلك بإيمان وعقد تقليدي ،
أو يقين برهاني .

وهذا مما علم ضرورة من مجاري أحواله ، في تركيته إيمان من سبق .
من أجلاف العرب ، إلى تصديقه ، بدون بحث أو برهان ، بل بمجرد
قرينة ، وخيلة سبقت إلى قلوبهم ، فقادت إلى الإذعان للحق والالتقياد
للصدق ... فهؤلاء مؤمنون حقا ، فلا ينبغي أن تشوش عليهم عقائدهم ،
فإنهم إذا تليت عليهم هذه البراهين ، وما عليها من الإشكالات وحلها ،
لم يؤمن أن تعلق بأفهامهم مشكلة من المشكلات ، وتستولي عليها ، ولا تمحي .
عنها ، بما يذكر من طرق الحل ، ولهذا لم ينقل عن الصحابة الخوض في
هذا الفن ، لا بمباحثة ، ولا بتدريس ، ولا تصنيف ، بل كان شغلهم
بالعبادة والدعوة إليها ، وحمل الخلق على مرادهم ، ومصلحتهم في أحوالهم .
وأعمالهم ومعاشهم فقط .

الفرقة الثانية : طائفة مالت عن اعتقاد الحق ، كالكفرة والمبتدعة .

فالجاني الغليظ منهم ، الضعيف العقل ، الجامد على التقايد ، الممتري بالباطل من مبتدأ النشوء ، إلى كبر السن ، لا ينفع معه إلا السوط والسيف ، فأكثر الكفرة أسلموا تحت ظلال السيوف إذ يفعل الله بالسيف والسنان ما لا يفعل بالبرهان واللسان ، وعن هذا إذا استقرأت توارخ الأخبار لم تصادف ملحمة بين المسلمين والكفار ، إلا انكشفت عن جماعة من أهل الضلال ، مالوا إلى الانقياد ، ولم تصادف بمجمع مناظرة ومجادلة انكشفت إلا عن زيادة إصرار وعناد .

ولا تظن أن الذي ذكرناه غض من منصب العقل وبرهانه ، ولكن نور العقل كرامة ، لا ينحص الله بها إلا الآحاد من أوليائه والغالب على الخلق القصور والاهمال ، فهم بقصورهم لا يدركون براهين العقول ، كما لا يدرك نور الشمس أبصار الخفافيش ، فهؤلاء تضر بهم العلوم كما تضر رياح الورد بالجمل ، وفي مشعل هؤلاء قال الإمام الشافعي رحمه الله :

فمن منح الجهال علما أضاعه

ومن منح المستوجبين فقد ظلم

الفرقة الثالثة : طائفة اعتقدوا الحق تقليداً أو سماعاً ، ولكن خصوا في الفطرة بذكاء وفطنة ، فتنبها من أنفسهم لاشكالات تشككهم في عقائدهم ، وزلزلت عليهم طمأنينتهم ، أو قرع سمعهم شبهة من الشبهات ، وحأكت في صدورهم ، فهؤلاء يجب التلطف في معالجتهم ، بإعادة طمأنينتهم وإمالة شكوكهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عندهم ، ولو بمجرد استبعاد وتقييح ، أو تلاوة آية ، أو رواية حديث ، أو نقل كلام من شخص مشهور عندهم بالفضل ، فإذا زال شكك بذلك القدر فلا ينبغي أن يشافه بالأدلة المحررة ، على مراسم الجدل ، فإن ذلك ربما يفتح عليه أبواباً أخرى من الأشكالات ، فإذا كان ذكياً فطناً ، لم يقنعه إلا كلام

يسير على محك التحقيق ، فعند ذلك يجوز أن يشافه بالدليل الحقيقي ،
وذلك على حسب الحاجة ، وفي موقع الاشكال على الخصوص .

الفرقة الرابعة : طائفة من أهل الضلال ، يتفرس فيهم مخائل الذكاء
والفطنة ، ويتوقع منهم قبول الحق ، لما اعتراهم في عقائدهم من الريبة أو
بما يلين قلوبهم لقبول التشكيك ، بالجيلة والفطرة ، فهو لاء يجب التلطف
بهم ، في استمالتهم إلى الحق ، وارشادهم إلى الاعتقاد الصحيح ، لا في
معرض الحاجة والتعصب ، فإن ذلك يزيد في دواعي الضلال ، ويهيج
بواعث التمادي والاصرار .

وأكثر الجهلات إنما رسخت في قلوب العوام ، بتعصب جماعية من
جهال الحق ، أظهروا الحق في معرض التمادي والإجلال ونظروا إلى
ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء ، فنارت من بواطنهم ، دواعي
المعاندة ، والمخالفة ، ورسخت في نفوسهم الاعتقادات الباطلة ، وعسر
على العلماء المتلطفين معها مع ظهور فسادها ، حتى انتهى التعصب بطائفة
إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نظروا بها في الحال بعد
السكوت عنها طول العمر قديمة ، ولولا استيلاء الشيطان ، بواسطة العناد
والتعصب للأهواء ، لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقراً في قلب مجنون ،
فضلاً عما له قلب عاقل ، والمجادلة والعناد ، داء محض لا دواء له ،
فليتحرز المتدين منه جهده ، وليترك الحقد والضغينة ، ولينظر إلى كافة
خلق الله بعين الرحمة ، وليستعن بالرفق واللطف في ارشاد من ضل في
هذه الأمة ، وليتحفظ من النكد الذي يحرم داعية الضلال ، وليتحقق أن
مهبج داعية الاصرار بالعناد والتعصب معين على الاصرار على البدعة ، -
ومطالب بعده اعانته في القيامة (١) .

والخلاصة من هذا التمهيد : أن الاشتغال بعلم التوحيد من المهمات في الدين وأن هذا العلم ليس علماً لجميع بني البشر . بل لخاصتهم إذ الخوض في هذا العلم وإن كان مهماً فهو في حق البعض ليس بهم ، بل المهم لهم تركه . وذلك لأن أدلة هذا العلم مثابها مثل الدواء الذي يقرره الطبيب للمريض . فعلم الكلام يشبه الدواء لأنه يعالج به مرضى العقائد .

وهناك من الناس من لا يجوز لهم الاشتغال بهذا العلم كما لا يجوز للباحث أن يشغلهم به ، لما قد يشوش عليهم عقيدتهم (١)

التمهيد الثالث : في بيان أن الاشتغال بهذا العلم من فروض الكفايات : اعلم أن التبحر في هذا العلم ، والاشتغال بمجموعه ليس من فروض الأعيان وهو من فروض الكفايات . فأما أنه ليس من فروض الأعيان فقد اتضح برهانه في التمهيد الثاني . إذ تبين أنه ليس يجب على كافة الخلق إلا التصديق الجازم . وتطهير القلب عن الريب والشك في الإيمان ، وإنما تعتبر إزالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك .

فإن قلت : فلم صار من فروض الكفايات ، وقد ذكرت أن أكثر الفرق يضرهم ذلك ولا ينفعهم ؟ فاعلم أنه قد سبق أن إزالة الشكوك في أصول العقائد واجبة ، واعتوار الشك غير مستحيل ، وإن كان لا يقع إلا في الأقل . ثم الدعوة إلى الحق بالبرهان مهمة في الدين ، ثم لا يبعد أن يشور مبتدع . ويتصدى لإغواء أهل الحق بإضافة الشبهة فيهم ، فلا بد ممن يقاوم شبهته بالكشف ، ويعارض اغواءه بالتبيين ، ولا يمكن ذلك إلا بهذا العلم ، ولا تنفك البلاد عن أمثال هذه الوقائع ، فوجب أن يكون في كل قطر من الأقطار ، وصقع من الأصقاع ، قائم بالحق ، مشغول بهذا العلم يقاوم دعاة المبتدعة ، ويستميل المائلين عن الحق . ويصفي قلوب أهل

(١) انظر الدكتور سامي عفيفي حجازي الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣٨

الدينه عن عوارض الشبهة ، فلو خلا عنهم قطر . خرج به أهل القطر
كافة ، كما لو خلا عن الطبيب والفقير . نعم . من أنس من نفسه تعلم الفقه
أو الكلام خلا الصقع عن القائم . بهما ولم يتسع زمانه للجمع بينهما ،
واستغنى في تعيين ما يشغل به منهما ، أوجبنا عليه الاشتغال بالفقه ، فإن
الحاجة إليه أعم : والوقائع فيه أكثر . فلا يستغنى أحد في ليله ونهاره
عن الاستعانة بالفقه ، واعتوار الشكوك المحوجة إلى علم الكلام باد
بالإضافة إليه .

كما أنه لو خلا البلد عن الطبيب والفقير ، كان التشاغل بالفقه أهم . لأنه
يشارك في الحاجة إليه الجماهير والدهماء ، وأما الطب فلا يحتاج إليه
الأصحاء ، والمرضى أقل عدداً بالإضافة إليهم .

ثم المريض لا يستغنى عن الفقه ، كما لا يستغنى عن الطب وحاجته إلى
الطب لحياته الفانية ، وإلى الفقه لحياته الباقية ، وشتان بين الحالين — فإذا
نسبت ثمرة الطب إلى ثمرة الفقه . علمت ما بين الثرتين .

ويدلك على أن الفقه أهم العلوم ، اشتغال الصالحين رضي الله عنهم بالبحث
عنه في مشاوراتهم ومفاداتهم ، ولا يغرنك ما يهول به من يعظم صنعة
الكلام من أنه الأصل ، والفقه فرع له فإنها كلمة حق ولكنها غير نافعة
في هذا المقام فإن الأصل هو الاعتقاد الصحيح ، والتصديق الجزم وذلك
حاصل بالتقليد . والحاجة إلى البرهان ودقائق الجدل نادرة والطبيب أيضاً
قد يلبس فيقول : وجودك ثم وجود بدنك موقوف على صناعتي وحياتك
منوطة بحياتي والصحة أولاً ، ثم الاشتغال بالدين ثانياً — ولكن
لا يخفى ماتحت هذا الكلام من التمويه وقد نهينا عليه (١).

لقد أفاد الإمام الغزالي في هذا التمهيد . أن دراسة علم الكلام ومعرفة

(١) الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد

أدلتها والاشتغال بقضاياها ليس فرض عين وإنما ذلك من فروض الكفايات لأن المطلوب هو الإيمان الصادق وطهارة القلوب من الشك والاعتقاد الجازم .

ولما يصير هذا التعلم فرض عين بالنسبة لمن وقع في الشك فيلزمه إزالته أما كونه فرض كفاية فإننا نجد في كل زمان من يشكك بنى البشر في عقائدهم ويشوش عليهم إيمانهم .

وفي مثل هذه الحالات لا بد من التصدي لهذه التيارات المغرضة والقضاء على بدع الضالين .

وهذا لا يتأتى إلا بمن تخصص في هذا العلم وجمع قضاياها ووقف على براهينه (١)

وكلام الغزالي أولى بالقبول - كما يذكر العلماء - لأنه لا يمكن أن يستبطن كل الناس أسرار هذا العلم . وهناك فرق بين تحصيل أصول العقيدة الذى هو مطلب كل معتقد على قدر استعداده وبين أن يتفقه فريق هذه الأصول بقدر يؤهلهم لتثبيتها في نفس المسترشد وإزالة الشكوك والأوهام التى تعترضه ، ودفع الشبهات التى يثيرها الخصم ، فهذا لا يتكفل به إلا من تؤهله مواهبه لذلك .

ونحسب أن قول الله تعالى «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» (٢) عام لكل

(١) د / سامى عفيفى حجازى الاقتضاء فى الاعتقاد ص ٤٨ - ٥٠

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢

أمور الدين : أصولها وفروعها . وبيان لحكم التفقه فيه أصلاً كان أو فرعاً كذلك (١)

ومهمة علم العقيدة قائمة في إطار تفاعل العقل مع الوحي بما يعطى لكل منهما قدره ، في تأصيل العقيدة، في القلب وتمكنها منه وجريانها في وجدان صاحبها مجرى يستحيل منه انفساكها عنه مهما كثرت الشبهات وتسلحت الأباطيل بالأدلة (٢)

ويبدو أن النظر في مهمة علم الكلام قد اختلفت في القرون الأربعة الأولى عنه فيما تلا ذلك .

ففي المرحلة الأولى غلب النظر إلى علم الكلام على أنه علم تحصيلي وليس مجرد دفاع .

ثم تحول بعد ذلك إلى علم دفاع عن عقائد الإسلام .

(١) انظر الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية ص ٣٥

(٢) المصدر السابق ص ٣٦

(٦ - علم العقيدة)

نشأة علم العقيدة

إن الباحث بعمق . والتأمل في الأحداث التي جاءت بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، والمتفرس في أحوال المسلمين أعماقا وأبعادا يجد أن لنشأة علم العقيدة عوامل كثيرة نبين أهمها فيما يلي :

أولا : لاشك في أن نشأة علم العقيدة والتوحيد والكلام نشأة إسلامية ولذا استمد مادته من النقل والعقل معاً ، وتصدى للدفاع عن العقائد الإسلامية .

ثانياً : لقد فتح المسلمون بلاداً ذات ثقافات عريقة مثل فارس والشام ومصر . وكان الفرس يؤمنون بالزرادشتية والمناوية والمزدكية كما انتشرت اليهودية والنصرانية في الشام ومصر .

وعندما أحست هذه الشعوب المغلوبة بعجزها عن مقاومة جيوش المسلمين انبرى منقعوها ليشنوا حملة ثقافية مضادة على العقيدة الإسلامية للتشكيك فيها مستهدفين إضعاف الروح الإسلامية وتفتيت وحدة المسلمين .

ولما كانت الفلسفة اليونانية وأساليب المنطق اليوناني قد ذاعت وانتشرت في هذه المنطقة قبل ظهور الإسلام فقد كان على الدين اليهودي أن يواجه قضاياها في مرحلة مبكرة ، ولم يلبث أن تأثر بها ، وكان ذلك واضحاً في التفسير الرمزي للتوراة على يد « فيلون السكندري » ،

ثم جاءت المسيحية وظهرت حركة علماء الكلام المسيحي . وتسلمح هؤلاء الدافعون عن الدين بالمنطق اليوناني وبالفلسفة اليونانية . ولا سيما بالأفلاطونية المحدثة : وظهر الجدل بينهم حول الله وصفاته والنبوة والوحي

وحرية الإرادة وعبادة الأيقونة والثالوث الأقدس وسر التجسد وطبيعة المسيح . وانقسم المسيحيون بصدد هذه المسائل إلى يعاقبة ونساطرة وملكانيين .

وحينما احتك المسلمون بالمسيحيين الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم . وأصحاب المقالات من الملحدين والزنادقة والثنوية اضطروا إلى التسليح بالفلسفة وبالمنطق الأرسطي لمواجهة هؤلاء الخصوم الذين حذقوا فن الجدل الديني فكان هذا سبباً كافياً لنشأة علم الكلام (١) .

وقد تمثلت المعارضة المسيحية العنيفة للإسلام على عهد الأمويين في رجال تعمقوا في دراسة اللاهوت المسيحي من أمثال الأسقف يوحنا الدمشقي طبيب يزيد الأموي ، وكان هذا الأسقف يرتب الكتب في مهاجمة الإسلام على طريقة السؤال والجواب (٢) .

ثالثاً : من العوامل التي أسهمت في نشأة علم الكلام الخلافات السياسية حول الإمامة . والخلافات حول الإمامة أدت إلى ظهور فرق دينية تتجادل حول العقيدة الإسلامية .

رابعاً : الآيات المتشابهات أدت إلى ظهور أسلوب التأويل الذي استخدمته الفرق الإسلامية للتدليل على صحة مواقفها . ويعد ابن خلدون الآيات المتشابهات الأصل في نشأة علم الكلام ويرجع البحث في ذات الله وصفاته ورؤيته سواء بالقلب أو بالبصيرة وكذلك كلام الله من حيث كونه قديماً أو مخلوقاً ومسائل التوحيد بصفة عامة . يرجع هذا كله إلى ما دار من جدال حول تفسير الآيات المتشابهات (٣) .

(١) دكتور محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ بتصرف

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠ ، ١٤١

علم العقيدة بين المؤيدين والمعارضين

من المعروف أن المسلمين قد انقسموا حول علم الكلام إلى فريقين :

أحدهما : يناصره ، ويبرز الدور الذي قام به في الدفاع عن العقيدة الإسلامية .

وثانيهما : يقف منه موقف الخصومة والمعارضة ، ويقم الأدلة على فساد منهجه ويبين الآثار الضارة التي ترتبت على اتباعه والآخذ بطريقته (١) .

ولا مانع من أن نعرض لأراء المؤيدين لعلم الكلام ، وآراء المعارضين له :

أولا - آراء أنصار علم الكلام أو العقيدة أو التوحيد :

يؤكد هذا الفريق من العلماء على مشروعية علم الكلام وأهميته وضرورة الاشتغال به ، ويرون أنه أحرى العلوم الشرعية بعقد الهمة بها وصرف الزمان إليها . ويسوقون على ذلك العديد من الأدلة والبراهين . أهمها :

١ - يذكر البعض أن علم الكلام أفضل المعارف الدينية ، وأشرف العلوم الشرعية ، لأنه يتعلق بأشرف المعلومات ، وهي ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، كما أنه أساس غيره من العلوم الدينية ورأسها وركنها . فإنه مالم يثبت وجود صانع مختار لم يثبت شيء منها كذلك فإن الحاجة إليه أشد ، وبراهينه أقوى . كما أن ضد علم الأصول

(١) رزق الحنبل ابن الوزير اليماني ومنهجه الكلامي ص ١١٧، ١١٨

هو الكفر والبدعة ، وهما من أخس الأشياء فوجب - كما يقول الرازي -
أن يكون أشرف الأشياء (١) .

وفوق ذلك فإن هذا العلم لا يتطرق إليه النسخ ولا التغيير ،
ولا يختلف باختلاف الأمم والنواحي ، كما أن الآيات المشتملة على
مطالبه أشرف من غيرها بدليل ما جاء في فضيلة « قل هو الله أحد »
الاخلاص (٢) ، وآية الكرسي ، ونحوها من الآيات ، وبهذا كان علم
الكلام مشتملا على جميع جهات الشرف والفضل (٣) .

٢ - أثبت أنصار علم الكلام والمؤمنين له أنه قد ثبت بالأدلة العقلية
والنقلية أن تحصيل هذا العلم من الواجبات .

ودليل ثبوت ذلك بالعقل أن المسلمين قد أجمعوا على وجوب معرفة
الله سبحانه وتعالى ، مع اتفاقهم على أنهم من أعظم القرب وأعلى موجبات
الثواب . فإذا ثبت وجوب ذلك بالإجماع فمن الضرورة ثبوت وجوب
وجوبه وجوب ما لا يتصل إليه إلا به (٤) .

كذلك فإن تقليد البعض ليس أولى من تقليد الباقي . فإما أن يجوز
تقليد الكل فيلزمنا تقايد الكفار . وإما يجب تقليد البعض دون البعض

(١) الرازي مفاتيح الغيب ١ ص ٣٠٧

(٢) الإيجي المواقف ١ ص ٥

(٣) الإيجي المواقف ١ ص ٧٥١

(٤) الجويني الشامل في أصول الدين ١ ص ٣٠ ، ٣١

وراجع : رزق الحجر ابن الوزير اليمسني ومنهجه الكلامي

من غير أن يكون له سبيل إلا أنه لم يقلد أحدهما دون الآخر . وإما ألا يجوز التقليد أصلا وهو المطلوب .

فإذا بطل التقليد لم يبق إلا هذه الطريقة النظرية . وقد دل القرآن الكريم على ذلك حيث ذم التقليد وندب الناس إلى النظر والاستدلال والرجوع إلى الاعتبار ، وأمر بمجادلة المشركين بالدلائل العقلية (١) .

أما دليل النقل على ذلك فقول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » فالمراد بالحكمة (٢) . هنا هو البرهان والحجة فالدعوة بالحجة والبرهان إلى الله تعالى مأمور بها وكذلك المراد بقوله تعالى في الآية : « وجادلهم بالتي هي أحسن » ليس المجادلة في فروع الشرع لأن من أفكر نبوته لا يخالفه . فعلينا أن هذا الجدل كان في التوحيد والنبوة . فكان الجدل مأمورا به . ثم لما مأمورون باتباعه عليه الصلاة والسلام فوجب كوننا مأمورين بذلك .
الجدال (٣) .

وعما يدل من القرآن كذلك على أن تحصيل هذا العلم من الواجبات أنه تعالى قد أمر بالنظر . فقال : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجادوا فيه اختلافا كثيرا » (٤)

(١) انظر الإيجي . المراقف ج ١ ص ٢٥١ والرازي مفاتيح الغيب . ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) سورة النحل الآية رقم ١٢٥

(٣) الرازي مفاتيح الغيب ج ١ ص ٣٠٧ .

(٤) سورة النساء . الآية رقم ٨٢

وقال تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت » (١) : وهناك كثير من الآيات التي تدعو إلى التفكير والنظر في السموات والأرض وما خلق الله فيها . ليصل الإنسان إلى الإيمان بالله (٢) . كما أنه سبحانه وتعالى ذكر التفكير في معرض المدح فقال : « إن في ذلك لذكرى لأولى الأبواب » (٣) . ولما نزل قوله تعالى « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » (٤) . قال عليه الصلاة والسلام : « ويل لمن لا كهبا بين لحية ولم يتفكر فيها » . فهو وعيد لمن ترك التفكير في دلائل المعرفة (٥) .

وقد ذم الله تعالى المعرضين عن التفكير في قوله تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (٦) .

٣ — إن الدلائل الواردة في علم الكلام لإثبات العقائد مأخوذة من القرآن الكريم ، معلومة للنبي ﷺ وصحابته .

فقد تضمن القرآن أدلة إثبات وجود الصانع سبحانه وأدلة التوحيد ، والصفات ، وإثبات النبوة ، والمعاد ، وغير ذلك من العقائد ، أما وجود

(١) سورة الغاشية . الآيات ١٧ — ٢٠

(٢) د / أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية ص ١١١ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٠ هـ .

(٣) سورة الزمر . الآية ٢١

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠

(٥) انظر رزق الحجر ابن الوزير النيني ص ١٢٠

(٦) سورة يوسف . الآية رقم ١٠٥

الصانع فقد دل عليه القرآن بخلق المسكفين، وخاق من قبلهم، وخلق السماء والأرض، وخلق الثرات من الماء النازل من السماء إلى الأرض. وكل ما ورد في القرآن من عجائب السموات والأرض فالقصد منه كذلك» (١).

وأما التوحيد فالذى يدل عليه قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (٢).

وبما يدل على الصفات ما جاء في الاستدلال على العلم — مثلا — وهو قوله تعالى: «إن الله لا يخفى عليه شيء» في الأرض ولا في السماء» (٣)، وقوله سبحانه: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» (٤).

٤ — وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم الاستدلال بهذه الدلائل على الملائكة والأنبياء ومنهم نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فقولاء جميعاً قد أخذوا، واعتمدوا عليها، ويان ذلك أن الله تعالى قد أجاب ملائكته إذ سأله «أتجعل فيها من يفسد فيها» (٥) بقوله تعالى: «إني أعلم ما لا تعلمون» فالمراد بسؤالهم أن خلق مثل هذا الشيء قبيح، والحكيم لا يفعل القبيح ومعنى جوابه تعالى أني لما كنت عالماً بكل المعلومات كنت قد علمت في خلقهم وتكوينهم حكمة لا تعلمونها أتم.. ولا شك أن هذا هو المناظرة، ومثل ذلك مناظرته مع إبليس..

(١) رزق الحجير ابن الوزير اليمنى ص ١٢٠

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٢

(٣) سورة آل عمران . الآية رقم ٥

(٤) سورة الملك الآية رقم ١٤

(٥) سورة البقرة الآية رقم ٣٠

وأما الأنبياء فأولهم آدم عليه السلام ، وقد أظهر الله تعالى حجته على فضله بأن أظهر عليه على الملائكة، وذلك محض الاستدلال كذلك استدلال إبراهيم عليه السلام لنفسه وعلى قومه وعلى ملك زمانه (١) ، وأما محمد عليه الصلاة والسلام فقد كان اشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد والرد على فرق الكفار المختلفة أظهر ، من أن يحتاج معه إلى تطويل ، كما أن القرآن مملوء بالردود على هذه الطوائف ، وإذا ثبت أن هذه الحرفة هي حرفة كل الأنبياء والرسل عليهم السلام علمنا — كما يقول الرازي — أن الطاعن فيها إما أن يكون كافراً أو جاهلاً (٢) .

٥ — إن ظهور علم الكلام في زمن أتباع التابعين استتبعه استحسان وتم تدوينه بالكتب فيعد من هذا الوجه من قبيل البدعة الحسنة به انزاحت الشبهة عن قلوب أهل الزيغ ، وثبت قدم اليقين للموحدين (٣) .

٦ — إن أدلة العقول لازمة لبيان صحة أصول الدين وحقايقها لأن المنهاج الصحيح في معرفة حق الكتاب وصدق الرسول ﷺ مستند من البراهين العقلية (٤) .

٧ — ولعل أهم ما يحتاج به أنصار علم الكلام : أن هذا العلم ضروري لرد شبهات الملحدين والمبتدعة ، وفيه حراسة العقيدة على العوام وحفظها

(١) الأشعري رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام ، سبق ذكرها .

(٢) الرازي مفاتيح الغيب ج ١ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٣) د/مصطفى حلي إقواعد المنهج السلفي ص ٧٩

(٤) المصدر السابق ص ٧٩ ط دار الصحوة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م

على تشويشات المبتدعة ، وهذا من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق (١) .

٨ — ويدل على أهمية علم الكلام أن بعض من نهوا عن الاشتغال به قد خاضوا فيه ، وتكلموا في مسأله ، وصنفوا في ذلك ، وأشهر هؤلاء على سبيل المثال الإمام أبو حنيفة ، فقد صنف في ذلك كتاب الفقه الأكبر وكتاب « العالم والمتعلم » اللذين صرح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام (٢) .

٩ — إذا جعل أصل الدين الإتياع — لا العقل — فإن ذلك بخالفة للكتاب ، لأن الله تعالى ذم التقليد في القرآن ، وندب الناس إلى النظر والاستدلال أمراً بمعادلة المشركين بالدلائل العقلية ومن تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق هذا الأصل (٣) .

١٠ — ويروى أنه لما منع الرشيد من الجدل في الدين ، وحبس أهل الكلام ، كتب إليه ملك السند يطلب من يناظره ، فوجه إليه الرشيد قاضياً لم يحسن الجدل ، فاضطر إلى البحث عن يناضل هن الدين ، وأخرج أهل الكلام من السجن ووقع اختياره على أحدهم فبعثه للمناظرة (٤) .

(١) طاشي كبرى زادة مفتاح السعادة ٢ ص ١٦١

(٢) المصدر السابق ٢ ص ١٦١

(٣) السيوطي صون المنطق ١ ص ١٥٧

(٤) الدكتور مصطفى حلمي قواعد المنهج السلفي ص ٨٠

ثانياً : آراء المعارضين لعلم الكلام :

يعتبر علم الكلام من العلوم التي تعرضت لعداء الكثير من الطوائف الإسلامية وإذا كان أنصار علم الكلام — كما عرفنا من الأدلة التي عرضناها — يضعونه في مقدمة العلوم الإسلامية ، ويخلعون عليه شرف رياستها ويعتبرونه السلاح الأمثل في نصرة الإسلام ، والذود عن حياضه فإن المعارضين ينكرون عليه أشد النكير ، ويوجهون إليه سهام النقد ، وينهون عن الخوض فيه والاشتغال به ، ويقدمون لذلك العديد من الأدلة (١) .

١ — إن طرق المتكلمين في الاستدلال فاسدة وأدلتهم لا توصل إلى اليقين وبيان ذلك أنهم يعتمدون في أدلتهم على طريقة الاستقراء أو طريقة القياس ، أو طريقة الاستدلال على إقتفاء المدلول لاقتفاء دليله ، أو الجدل ، وهي كلها طرق لا تؤدي إلى اليقين .

أما الاستقراء وهو أساس المفاهيم العامة والقضايا الكلية فإنه :

١ — مبني كانه على الحس ، أنه استقراء محسّات ، إنه تتبع جزئيات ، لا تخرج عن نطاق المادة ، أما المساتير فهو بعيد عنها ككل البعد ، أنها لا تدخل في دائرة اختصاصه ، فهو عاجز عن أن يخترق الحجب ليصل إلى ما وراء الطبيعة (٢) .

٢ — ثم إن الاستقراء : تام وناقص ، والباقى كما يعترف المناطقة — لا ثمرة له ، ولا فائدة فيه .

(١) رزق الحجر ابن الوزير النيني ومنهجه الكلامي ص ١٢٣

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود مقدمة المنقذ من الضلال ص ٢٩١، ٢٩٢

ط دار الكتاب اللبناني بيروت .

أما الناقص — وهو المهم في نظرهم — فإنه في رأيهم أيضاً ظني وهو لذلك عرضة للتغيير في كل آونة .

« كل معدن يتمدد بالحرارة » تلك قضية من قضايا الاستقراء إنها قضية عامة شاملة ، ولكن المعادن لم تكشف بعداً كلها . ومن الجائز أن يكشف في الغد معدن لا يتمدد بالحرارة . إنها إذن قضية مؤقتة ظنية يتبرأ منها اليقينيون الفلسفيون ..

والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة في مسألة من مسائله ، وإنما حقاً ثقة كلها إضافية موقوته، لها قيمتها حتى يتكشف البحث عما يزيل هذه القيمة أو يغيرها .

وهكذا قضايا الاستقراء، إنها خاصة بالطبيعة ولا شأن لها بمآورها، وأنها ظنية لا تعرف اليقيني (١) .

أما القياس فإنه مبني على الاستقراء إذ هو منطوق دائماً على كلية استقرائية مادامت قضايا الاستقراء ظنية وميدانها المحسّات فتنتأج القياس ظنية كذلك وميدانها المحسّات ، ثم إن المناطق لا يشترطون في مقدمات القياس أن تكون مسلبة صادقة في نفسها وإنما يشترطون أن يسلبها المتجادلون فحسب وقد تكون منكورة كاذبة في نفسها ، وفي هذه الحالة يكون القياس صحيحاً ونتيجته باطلة وإذا كان الأمر كذلك فما فائدة القياس ؟ ما قيمته ، إذا كان لا يعول فيه إلا على أن تكون المقدمات مستوفية لشروط الإنتاج بحيث تستلزم النتيجة ، وإن لم تطابق النتيجة الواقع .

ما قيمته إذا كان لا يحفل بصدق النتيجة أو كذبها . إنك إذا قلت :
الكثير من العلم يؤدي إلى الاستقلال الفردي . وما يؤدي إلى الاستقلال
الفردي مضر بالمجتمع . فالكثير من العلم مضر بالمجتمع . كان هذا قياساً
صحيحاً في نظر المنطقة .

ولماذا قلت : الكثير من العلم يؤدي إلى التماسك الاجتماعي ، وكل
ما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي مفيد للمجتمع . فالكثير من العلم مفيد
للمجتمع . كان هذا أيضاً قياساً صحيحاً عند المنطقة . ومع ذلك فالنتيجتان
متعارضتان .

ومع هذا فالقياس استدلال دوري فاسد . ذلك أن العلم بالنتيجة في
نحو قولنا : محمد إنسان وكل إنسان ناطق فمحمد ناطق . متوقف على العلم
بالكبرى ، والعلم بالكبرى متوقف على العلم بالنتيجة . لأنك لا تستطيع
أن تحكم بالناطقة على جميع أفراد النوع الإنساني . إلا إذا تأكدت من
ثبوت الناطقية لمحمد . ولو كنت في شك من ذلك لما استطعت تعميم الحكم
بالناطقة على جميع أفراد الإنسان . وإذن تكون الكبرى متوقفة على
النتيجة والنتيجة متوقفة على الكبرى ، وعلى ذلك يكون القياس : استدلالاً
دورياً فاسداً فلا يعول عليه .

وأخيراً فالفروض أن نتيجة القياس جديدة كل الجدة إنها استنتاج
مجهول هو النتيجة من معلوم هو المقدمات . ولكن النتيجة متضمنة في
المقدمات ، إنها ليست مجهولة . (١)

فطريقة القياس لا تفيد في الإلهيات وجميع المساتير .

والمستكملون قد استخدموا القياس بعد أن استعاروه من أصول الفقه
وغاب عنهم أن كل منهج يجب أن يتناسب مع الموضوع الذي ينطبق
عليه (١).

أما طريقة الاستدلال على انتفاء المدلول لانتفاء دليله . فقد أثبت
الإمام الغزالي بطلانها في قوله : « أما ترى أن صحة الصلاة يلزمها لاحالة
كون المصلي متطهراً . فلا جرم يضح أن تقول : إن كانت صلاة زيد
صحيفة فهو متطهر . ومعلوم أنه غير متطهر ، وهى نفى اللازم . فلزم منه
أن صلاته غير صحيحة وهى نفى الملزوم .

وكذلك إن قلت : ومعلوم أن صلاته صحيحة . وهذا وجود الملزوم
فيلزم منه أن صلاته صحيحة .

فهذا خطأ . لأنه ربما بطلت صلاته بغلة أخرى . فهذا وجود اللازم
ولم يدل على وجود الملزوم .

وكذلك إن قلت : ومعلوم أن صلاته ليست بصحيحة فهو إذن كان
غير متطهر .

وهذا خطأ غير لازم ، لأنه يجوز أن يكون عدم صحة الصلاة لفقدان
شرط سوى الطهارة ، فهذا نفى الملزوم ولم يدل على نفى اللازم ، (٢)

أما طريقة الجدل :

وهى طريقة تعتمد على مسلمات الخضم وتسلم بالتدقيق وتعديد

(١) انظر رزق الحاجر ، ابن الوزير البيني ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الغزالي القسطاس المستقيم ص ٣٩ ، ٤٠ .

الاحتمالات والفروض . وتهدف أساساً إلى التغلب على الخصم ، فهي أكثر الطرق تعرضاً للنقد . بل قد يصح القول بأنها كانت السبب المباشر في جاب العداوة إلى علم الكلام بما أنتجت من خصومات وخلافات (١)

يقول ابن حزم في نقده لطريقة الجدل :

« فإن تعلق المرء بما يقول خصمه ضعف وإنما يلزم المرء أن يخلص قوله مجرداً لا أسوة له في تناقض خصمه ، بل لعل خصمه لا يقول ذلك » (٢) .

وقد وصف الغزالي أهل الجدل والشغب بأنهم يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة . وبين بطلان الجدل القائم على أساس القسمة العقلية حين قرر أننا لو سلمنا بأنهم وصلوا بقسمتهم العقلية إلى استقصاء جميع الاحتمالات فإنه لا يلزم من أبطال ثلاث ثبوت رابع . فقد تكون الأقسام كلها باطلة (٣) .

كذلك الخطائي عاب طريقة الجدل هذه في رسالته : « الغنية عن الكلام » ، في قوله : والجدل لا يبين به حق ولا تقوم به حجة . وقد يكون الخصمان على مقالتين مختلفتين كتناهما باطلة ، ويكون الحق في ثالثة غيرهما . فنناقضة أحدهما صاحبه غير مصحح مذهبه وإن كان مفشداً به قول خصمه » (٤) .

(١) رزق الحجر ابن الوزير النيراني ص ٢٥

(٢) ابن حزم الفصل ج ١ ص ٢٠ ط بيروت

(٣) الغزالي القسطاس المستقيم ص ٦٢ وانظر الدكتور محمود قاسم

دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٥٣

(٤) السيميوطي . . . ن المنطق ص ٩٩ ، ١٧٦

٢— يرى أهل الحديث أن العقل لا يوجب شيئاً، فلا دور له ولا حظ،
في تحليل أو تحريم، أو تحسين أو تقييح، ما لم يرد به الوحي. مستدلين
على ذلك بقول الله: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (١):

وقوله عز وجل: «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل» (٢).

وقال تعالى حاكياً عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار «ألم يأتكم
رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
قالوا بلى» (٣).

فيتبين من هذه الآية أنه عز وجل أقام عليهم الحجة ببعث الرسل.
فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم تكن بعثة الرسل شرطاً لوجوبه
العقوبة، وإذا تأسس الإيمان عن العقل لآدى ذلك إلى إنكار دور
الرسل وكأن وجودهم وعدمه بمنزلة واحدة. أو كأنهم اقتصروا في
دعوتهم على الشرائع وفروع العبادات دون أصول الدين (٤)

٣— وأيضاً ففي الدين معقول وغير معقول والاتباع في جميعه
واجب. وأن الله تعالى هو الذي يعرف العبد ذاته.

فقد ثبت أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال: «واقه لولا الله
ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا».

(١) الإسراء الآية رقم ١٥

(٢) النساء: الآية رقم ١٦٥

(٣) الزمر الآية رقم ٧١

(٤) د / مصطفى حليم قواعد المنهج السلفي ص ٨٠، ٨١

فدل على أن الله تعالى يعرف العبد مع وجود العقل سبب الإدراك
والحجة لقوله عز وجل : « إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » (١) :

وقال : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (٢)

وقال تعالى مخبراً عن أصحاب النار : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير » (٣) .

فالعقل آلة لإقامة العبودية وإدراك الربوبية . فهو آلة التمييز بين
الطيب والخس ولولاه لم يكن تكليف ولا توجه أمر ولا نهى (٤)

٤ — ما يتعلق بالنتائج والآثار التي ترتبت على الاشتغال بعلم الكلام
وأهم هذه الآثار ما حدث من اختلاف المتكلمين فيما بينهم . فذلك أثر
خطير مزق أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — شيعاً وأحزاباً ،
وفرقها فرقاً متباينة متطاحنة ترمى كل منهما الأخرى بالكفر والضلال
أو تنسبها إلى الفسق والبدع . مما فاك وحدة المسلمين ، وبدد قواهم (٥)

٥ — إن القرآن الكريم قد اشتمل على البراهين العقلية على أصول
الدين ، فاذا ثبت ذلك وثبت معه أن البراهين العقلية الواردة في القرآن
خير من أدلة المتكلمين ، ولا تثير بين المسلمين ما أثارته الأخيرة من خلاف

(١) النحل الآية رقم ٦٧

(٢) سورة (ق) الآية رقم ٣٧

(٣) سورة الملك الآية رقم ١٠

(٤) د / مصطفى حلمي قواعد المنهج السلفي ص ٨١

(٥) ابن رزق الحنبل ابن الوزير البني ص ١٢٦ ، ١٢٧

(٧ — علم العقيدة)

وشتات تفكير المسلمين ، إذا ثبت هذا صح فيما يراه خصوم الكلام المنع من الاشتغال بهذا العلم ودلائله (١) .

٦ — إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ويدلنا على أن علم الكلام بدعة مخالفة لطريقة النبي ﷺ وصحابته في الدعوة إلى الدين . فقد كان ﷺ كما هو المشهور الصحيح يدعو الكفار إلى الإسلام من غير أن يأمرهم بالنظر في الأدلة على أساليب المتكلمين (٢) .

٧ — وهناك أقوال جاءت عن الأئمة الأعلام « تنهى عن علم الكلام ومن ذلك ما ذكره ابن عبد البر : « نهى السلف — رحمهم الله — عن الجدال في الله ، جل ثناؤه ، في صفاته ، وأسمائه ، وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر . لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع إلى الأصول . للحاجة إلى ذلك ، وليست الاعتقادات كذلك ، لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول الله ﷺ ، أو أجمعت الأمة عليه ، وليس كمثل شيء ، فيدرك بقياس أو إنعام فطر ، وقد نهينا عن التفكير في الله ، وأمرنا بالتفكير في خلقه الدال عليه (٣) » .

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : « كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، وينهون عنه . نحو الكلام في رأي « جهم » والقدر ، وما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل » (٤) .

(١) انظر رزق الحجر ابن الوزير النجدي ومنهجه الكلامي ص ١٣٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٧

(٣) ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٢

(٤) ألفزالي المنقذ من الضلال الهامش ص ٨٧

وقال مالك : أرأيت إن جاءه من هو أجدر منه ، أيدع دينه كل يوم
الذين جديده ؟ .

وقال ابن عبد الأعلى — رحمه الله — سمعت الشافعي رضي الله عنه
يوم فاطر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول : « لأن يلقى الله
عز وجل العبد بكل ذنب — ما خلا الشرك بالله — خير له من أن يلقاه
بشيء من علم الكلام (١) .

وقد لمس أبو حنيفة رضي الله عنه أخطر عيوب الكلام في قوله :
— حين نهى ولده حماداً عن الكلام ، فاحتج عليه بأن سمعه يتكلم فيه —
« يا بني ، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل
صاحبه ، وأنتم اليوم تتكلمون كل واحد يريد أن يزل صاحبه ، ومن أراد
أن يزل صاحبه فكأنه قد كفر ، قبل أن يكفر صاحبه ، (٢) .

وأن الباحث عن هذه المرويات يجد لها كثيرة . والكثير منها يحذر
من الاشتغال بعلم الكلام لأنه بدعة .

(١) الغزالي إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) السيوطي صون المنطق ص ٣٣ .

وقفة وتعقيب

إن المتأمل والباحث في آراء المعارضين لعلم الكلام . يجد أن هذه الآراء التي حسبها المرددون لها أنها معارضة لعلم الكلام ليست معارضة عند الفهم الواعي . لأنها قيلت بمنأى قالوها ، لأمر آخرى . وأخطر من هذا كله أن يردد المرددون ما ظنوه أنه يعارض علم الكلام ، دون أن يعرفوا ما هو علم الكلام ، وتجدهم ينبرون معلنين خصومتهم لعلم الكلام دون فهم ، ونسوا أن السلف الذين واجهوا ما دخل على علم الكلام ، اشتغلوا بعلم الكلام ، وإلا لما استطاعوا أن يردوا ويفندوا ويواجهوا .

ومشكلة المسلمين في عصرهم الحاضر هو جهل أبناءهم بأبسط قواعد الخلق والمعرفة . أنهم يخاصمون ويعارضون ويفتون دون أن يفهموا مقاصد السلف الصالح .

وهناك أسئلة ترد على من يبحث ويتأمل :

— هل كان الأئمة الذين عارضوا علم الكلام على دراية بعلم الكلام ؟

— وما المقصود عندهم بعلم الكلام ؟

— وما المقصود بعلماء الكلام عندهم ؟

— وما الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى أن يقفوا بهذا الموقف من علم الكلام ؟

ولأن المتتبع لسير الأعلام الأئمة الذين نهوا عن الخوض في علم الكلام ، يجد أنهم كانوا علماء بعلم الكلام ، وعلى دراسة بقضايا هذا العلم .

وأما المقصود بعلم الكلام الذى نهوا عنه وعارضوه : فهو ذلك الجدل الذى كان يثار فى عصرهم حول بعض مسائل القضاء والقدر ، وفتنة القول بخلق القرآن وما شابهها . لا بقصد الوصول إلى الحق ، وخدمة الدين ، بل بقصد الانتصار للنفس ، والاستعلاء على الآخرين .

والمقصود بعلماء الكلام : هم أهل الأهواء والبدع والنزعات المجافية للقطرة والتوحيد (١) .

وأما الأسباب التى دفعتهم إلى أن يقفوا هذا الموقف من ذلك العلم ، هى متعددة ومتشعبة ، بعضها يرجع إلى موضوع علم الكلام وبعضها يعود إلى منهج البحث فيه ، وبعضها الآخر يكمن فى القائمين عليه .

أما السبب الذى يعود إلى موضوع علم الكلام فهو خطورة الموضوعات التى كان يتناولها هذا العلم .

وأما السبب الذى يرجع إلى منهج البحث فى علم الكلام . فقد كانوا يؤمنون بأن للعقل حداً يقف عنده (٢) .

وأما السبب الذى يكمن فى القائمين على علم الكلام : فإن بعضهم انحرف بهذا العلم إلى اللجاج والخصومة والعناد .

وبالإضافة إلى ما سبق بيانه هناك أمور يحسن بنا أن نعرض لها ، وتعرف عليها . وهى :

(١) الدكتور سامى عفيفى حجازى مدخل لدراسة علم الكلام ص ١٠٢
طبعة المطبعة المحمدية

(٢) المصدر السابق ص ١٠٣، ١٠٤ بتصرف واختصار

— أن السلفيين يرون أن علم الكلام هو ما تمخضت به جهود المعتزلة وغيرهم ممن يخرجون على ظاهر النص ومن هذا ما ذكره شارح الطحاوية بقوله عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم . وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل زنديق أورمى بالزندقة .

ولا نشك — كما يقول الدكتور نصار — في أن ما قاله أبو يوسف إن صبح ذلك إنما يتوجه إلى المراء والجدال واللجاج في أصول الدين الظاهرة عما ليس تحته عمل ، وهو التنطع المقيت كالجدل في طبيعة الذات الإلهية وما سوى ذلك مما ليس للعقل فيه مدخل ، بل يتلقى من صاحب الشرع (١) .

— نحن لا ننكر أن القرآن والسنة هما مصدر هذا الدين ، ولكننا نتساءل : ما الذي يحتوى عليه هذان المصدران ؟ هل يحتويان على ما هو فوق أصول الدين وفروعه ؟ أعتقد أن الجواب بالنفي . وإذن فالمشتغل بأصول الدين مشغول بهما بالضرورة . والمحذور الذي يخشى منه هؤلاء — وهو الخروج على إطار ما يفيد ظاهر النص . وتحكيم العقل في قضايا الدين الأساسية — نوافقهم على التشبث به عندما يتبين لنا سوء النية الذي يظهر من خلال ما لا يقبله العقل الصريح ، والذي يكون أثراً لثقافة وافدة ، وبديئة غير بيئتنا (٢) .

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار العقيدة الإسلامية ص ٣١

(٢) المصدر السابق ص ٣٣

— يذكر التفاتاً في طوائف أربع تمنع من الاشتغال بعلم الكلام :

الأولى : من هو متعصب يقصد به ترويج مذهبه فيحرم لذلك تحقيق الحق في مطالبه .

الثانية : من لم يرزق فطنة تفي بتوصيل اليقين ، فنظره في مبادئه يفضى إلى التشكيك في قواعد الدين . فعليه أن يتسم بسمة العاجز ، ويتدين بدين العجائز .

الثالثة : من هو معوج في الدين مخطيء طريق اليقين .

الرابعة : من يتوغل في الخوض في الحكمة فيقع في ظلمات الفلسفة فربما يعجب بفكره ورأيه والحق من ورائه (١) .

— ليس علم الكلام محموداً لذاته أو مذموماً لذاته . بل هو كما يقول الإمام الغزالي : فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال : وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد عن الجزم والتصميم (١) .

— المذموم من علم الكلام هو الكلام المخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية . كإدخال قضايا لا توافق الكتاب والسنة أو إثبات مسائل على وجه لا يوافق الكتاب والسنة (٢) ،

(١) التفاتاً في شرح العقائد النسفية ص ١٩

(٢) الغزالي إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٠٣ ط الحلبي

ومن شأن علم الكلام في هذه العصور أن يتحول إلى ما هو أكثر
فائدة للمسلمين عامتهم وخاصتهم فيبحث في إثارة القضايا التي تشير العقل
وتدفعه إلى التأمل ومعرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به .

وليس من شأن المسلمين في هذا العصر — وفي كل عصر — أن
يختلفوا في اصرار وعناد ، حول مسائل لا يأتى البحث والخلاف حولها
بجديد . وقد تكون هذه المسائل لا صلة لها بالتقدم العلمى الذى نحن فى
أشد الحاجة إليه .

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

ثانياً : المصادر والمراجع العامة والخاصة .

- ١ - أبو الحسن الأشعري . مقالات الإسلاميين ط القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٢ - أبو الحسن الأشعري . اللع في الرد على أهل الزيغ والبدع ط القاهرة .
- ٣ - أبو الحسن الأشعري . الإبانة عن أصول الديانة ط بيروت .
- ٤ - أبو الحسن الأشعري . رسالة في استعسان الخوض في الكلام ط بيروت .
- ٥ - أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ط القاهرة .
- ٦ - أبو حامد الغزالي . المنقذ من الضلال ط دار الكتاب اللبناني .
- ٧ - أبو حامد الغزالي . الاقتصاد في الاعتقاد ط الحلبي ١٩٦٩
- ٨ - أبو حامد الغزالي . القسطاس المستقيم ط سلسلة الثقافة الإسلامية .
- ٩ - أبو حامد الغزالي . الجامع العوام عن علم الكلام ط ١٩٨٦
- ١٠ - أبو الوفاء التفتازاني . علم الكلام وبعض مشكلاته ط القاهرة ١٩٧٩ .
- ١١ - ابن حزم . الفصل في الملل والأهواء والنحل ط بيروت .

- ١٢ - د/ أمّنة محمد نصير مباحث في علوم العقيدة ط مكتبة السكيات
الأزهرية ١٤٠٤ هـ .
- ١٣ - د/ أحمد أبو السعادات . العقيدة الإسلامية ط ١٩٨٣
القاهرة .
- ١٤ - الشيخ أحمد التابعى . مرشده الخلق إلى طريق الحق ط التقدم
القاهرة .
- ١٥ - البغدادي . الفرق بين الفرق ط القاهرة .
- ١٦ - الإمام الجويني . الشامل في أصول الدين ط القاهرة .
- ١٧ - الإمام الجويني . الإرشاد إلى قواطع الأدلة ط القاهرة .
- ١٨ - وزق الحجر . ابن الوزير ومنهجه الكلامي ط الدار
السعودية .
- ١٩ - السيوطي . صون المنطق ط الأزهر .
- ٢٠ - سعد الدين التفتازاني . شروح العقائد النسفية ط الحلبي بمصر
- ٢١ - سليمان سليمان خميس . توضيح العقائد النسفية ط
دار نشر الثقافة .
- ٢٢ - د/ إسامى عفيف حجازي . مدخل لدراسة علم الكلام ط دار
الطباعة المحمدية .
- ٢٣ - د/ سيد عبد التواب . محاضرات في علم التوحيد ط الجبلأوى .
- ٢٤ - الشهرستاني . نهاية الأقدام ط بيروت .
- ٢٥ - الشهرستاني . الملل والنحل ط بيروت .
- ٢٦ - الإسفريني . التبصير في الدين ط الحلبي بمصر .
- ٢٧ - طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ط القاهرة .

٢٨ - د/عبد الحلیم محمود . مقدمة المنقذ من الضلال ط دار الكتاب
اللبنانی .

٢٩ - عضد الدین الایچی . المواقف ط دار السعادة بمصر .

٣٠ - د/ عوض الله حجازی . فی العقيدة والأخلاق ط القاهرة .

٣١ - د/عبد الحمید شقیق . تیسیر الاقتصاد فی الاعتقاد ط
القاهرة .

٣٢ - د/ عبد العزیز سیف النصر . فلسفة علم الکلام ط القاهرة .

٣٣ - د/عبد الرحمن بدوی . مذاهب الإسلامیین ط بیروت .

٣٤ - نحر الدین الرازی . مفاتیح الغیب ط دار الكتاب العربی .

٣٥ - نحر الدین الرازی . أساس التقدیس ط القاهرة .

٣٦ - نحر الدین الرازی . محصل أفكار المتقدمین والمتأخرین ط

البانی .

٣٧ - د/مصطفی حلی . قواعد المنهج السلفی ط دار الدعوة .

٣٨ - د/محمد علی أبو ریان . تاریخ الفكر الفلسفی فی الإسلام ط

دار المعرفة .

٣٩ - د/محمود قاسم . دراسات فی الفلسفة الإسلامية ط دار

المعارف .

٤٠ - د/محمد عبد الستار نصار . العقيدة الإسلامية ط دار الطباعة

المحمدية .

٤١ - محمد بن أبی العز الحنفی . شرح العقيدة الطحاوية ط

بیروت .

٤٢ - د/مبارك حسن حسین . علم التوحید ط القاهرة .

- ٤٣ — د/ محمود محمد مزروعة . دراسات في العقيدة ط ١٩٧٢
- ٤٤ — الشيخ مصطفى عبد الرازق . تمهيد لتاريخ الفلسفة ط ١٩٤٤
- ٤٥ — د/ مصطفى عمران . مقدمة علم الكلام ط ١٩٨٣
- ٤٦ — د/ محمد ربيع الجوهري . الإمام الشافعي وعلم الكلام ط ١٩٨٦
- ٤٧ — د/ يحيى هاشم . نشأة الآراء والمذاهب ط الأزهر ١٩٧٢
- ٤٨ — د/ يحيى هويدى . دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية ط ١٩٦٥



ORIENTAL Organization of the Alexandria Library (OAL)
Bibliotheca Alexandrina

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | العقيدة ومفهومها |
| ١٧ | حاجة الإنسان إلى العقيدة |
| ٢٦ | عقائد الناس قبل الإسلام |
| ٢٩ | حال العقيدة في عصر رسول الله |
| ٣٥ | حال العقيدة في عصر الراشدين |
| ٤٨ | علم الكلام |
| ٥١ | تعريف علم العقيدة والكلام |
| ٦٠ | موضوع علم العقيدة |
| ٦٥ | تميز علم العقيدة |
| ٦٩ | فائدة علم العقيدة وغايته وأهميته |
| ٨٢ | نشأة علم العقيدة |
| ٨٤ | علم العقيدة بين المؤيدين والمعارضين |
| ٨٤ | آراء أنصار علم العقيدة أو الكلام |
| ٩١ | آراء المعارضين لعلم الكلام |
| ١٠٠ | وقفة وتعقيب |
| ١٠٥ | المراجع والمصادر |
| ١١٠ | فهرس الموضوعات |

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٣٦٤/١٩٩٠ م

To: www.al-mostafa.com